الإصدار: 76



أدب الطفل المسلم

خصوصية التخطيط والإبداع

أحمد مبارك سالم





أدب الطفل المسلم
خصوصية التخطيط والإبداع

أ. أحمد مبارك سالم

الإصدار: 76 (ينـاير 2014م / صفـر 1435هـ)

الإخراج الفني : محمود محمد أبو الفضل

أ. أحمد مبارك سالم

من مواليد مملكة البحرين، حاصل على الماجستير في القانون، يعمل بوزارة شؤون مجلسي الشورى والنواب، وهو عضو جمعية الصحفيين البحرينية، وخبير في مشروع: «تحليل الخطاب الإسلامي تجاه قضايا المرأة» الذي تشرف عليه منظمة المرأة العربية.

له إنتاج صحفي بالمجلات البحرينية والعربية، وحاصل على العديد من الجوائز الأدبية والثقافية.



نهـر متعـدد... متجـدد

مشروع فكري وثقافي وأدبي يهدف إلى الإسهام النوعي في إثراء المحيط الفكري والأدبي والثقافي بإصدارات دورية وبرامج تدريبية وفق رؤية وسطية تدرك الواقع وتستشرف المستقبل.



وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

قطاع الشؤون الثقافية

إدارة الثقافة الإسلامية

ص.ب: 13 الصفاة – رمز بريدي: 13001 دولة الكويت

الهاتف: 22487310 (965+) – فاكس: 22445465 (965+)

نقال: 99255322 (965+)

البريد الإلكتروني: rawafed@islam.gov.kw

موقع «روافد»: www.islam.gov.kw/rawafed

الطبعة الأولى - دولة الكويت

يناير **2014** م / صفر **1435**هـ

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

الموقع الإلكتروني: **www.islam.gov.kw**

رقم الإيداع بمركز المعلومات: **113 / 2013**

تم الحفظ والتسجيل بمكتبة الكويت الوطنية

رقم الإيداع: **2013 / 207**

ردمك: **978-99966-50-94-9**

فهرس المحتويات

تصدير ٩

مقدمة ١١

الفصل الأول: مفهوم أدب الأطفال وجوانب تمثل القيم الإنسانية فيه ووظائفه وأهدافه ١٧

المفهوم والماهية ١٩

تمثل القيم الإنسانية في أدب الأطفال ٢٦

الوظائف والأهداف ٣١

الفصل الثاني: الخلفية التاريخية ٤١

حقيقة الامتداد ٤٣

معطيات الخلفية التاريخية لأدب الأطفال في الحضارات الإنسانية القديمة ٤٦

معطيات الخلفية التاريخية لأدب الأطفال في الحضارة الإسلامية ٥٤

الفصل الثالث: أزمة أدب الطفل المسلم في الواقع المعاصر (الامتداد، التداعيات، والأبعاد) ٥٩

العوامل الكامنة وراء ظهور أدب الأطفال في التراث العربي الحديث ٦٢

تداعيات أزمة أدب الأطفال في الواقع المعاصر ٦٧
ضعف في استيعاب احتياجات الطفل ٦٨
خصوصية في الإبداع لم تتبلور بعد ٦٩
ضبابية في منظومة القيم المستهدفة ٧٢
البحث عن بطل جديد ٧٥
أبعاد أزمة أدب الأطفال في الواقع المعاصر ٨١

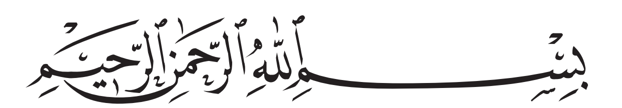
الفصل الرابع: فنون ووسائط أدب الطفل بصيغتها الإسلامية ٩١

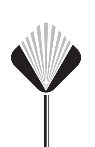
مفهوم أدب الطفل المسلم ٩٣
مصادر أدب الطفل المسلم ٩٧
المصادر الإسلامية ٩٧
المصادر التراثية والترجمة والمتغيرات ٩٩

الفصل الخامس: تنمية جوانب الخصوصية والإبداع في أدب الطفل المسلم ١٠٧

التخطيط المرحلي الاستراتيجي ١١١
اعتبارات الوعي بأهمية تأطير أدب الطفل ضمن نطاقه الحيوي ١١٦

طموحات منتظرة ١٢١
الخاتمـة ١٣٠
قائمـة المراجع ١٣٧


بسم الله الرحمن الرحيم



تصدير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

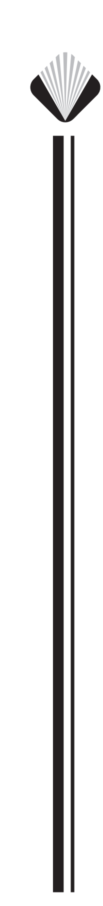
لقد أضحى الاهتمام بالطفولة عملا مؤسسيا تقوم بشأنه وزارات ومؤسسات وهيئآت، ولم يعد النظر إلى الطفولة يكتسي طابع المفاهيم التقليدية التي صلحت لأزمان وبيئآت، وصارت عاجزة عن الاستجابة للتحديات التي تفرضها مرحلة الطفولة في العصر الحديث نفسيا وتربويا وثقافيا.

وإذا يممنا الاهتمام شطر البلاد العربية والإسلامية، فإن الجهود المبذولة في رعاية الطفولة ، بمختلف جوانبها ومكوناتها، تحتاج إلى تنمية وتقويم.

وإذا كانت جوانب تلك التنمية وذلك التقويم متعددة ومتشعبة، فقد عمل الباحث «أحمد سالم» على تخصيص القول في أدب الطفل، مركزا على رصد مجموعة من الإشكالات المتصلة بهذا الحقل في المنظور الحضاري الإسلامي، مع تقديم مجموعة من الاقتراحات التي يمكنها أن تتحول إلى مشاريع عمل للنهوض بأدب الطفل المسلم نهوضا فنيا وتربويا وإعلاميا.

ويسر إدارة الثقافة الإسلامية بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت أن تقدم هذا الكتاب إلى المهتمين والمختصين وجمهور القراء الكرام إسهاما منها في التحسيس بأهمية أدب الطفل وخطورته ودوره في تشكيل وجدان الطفل وفكره وسلوكه، سائلة المولى أن ينفع به، وأن يجزي الكاتب خير الجزاء...

إنه سميع مجيب.



مقدمة

أصبح ما اصطلح على تسميته «أدب الأطفال» موطناً للصراع بين المفكرين والنقّاد نظراً لأهميته التي استلزمتها ضرورة حيوية أضحت تعبر في ظل الواقع المعاصر عن نضج المجتمع في وعيه وإدراكه بمختلف الأطر والقوالب التي يمكن من خلالها صقل الجوانب الإنسانية في شريحة الأطفال والفتيان وحتى الشباب، بما من شأنه تحقيق النقلة النوعية التي يترقبها المجتمع.

وإذا جاز لنا أن نتحدث عن أدب الطفل في سياق أزمة عالمية، فإنها في واقع مجتمعاتنا قد ولّدت تراكماً سلبياً حصل نتيجة تخلف العالم الإسلامي فيما عرف بعلم نفس الطفل، وبقيت الساحة فارغة ليحتلها نوع آخر من أدب الأطفال؟!

ولما كانت الصيغة الإسلامية التي عُنيت بترجمة وتوظيف أدب الأطفال في واقع مجتمعاتنا الإسلامية المعاصرة صيغة متهالكة ومنكمشة، وذلك في ظل ما يشهده أدب الأطفال من نقلة نوعية عكست بروزاً احترافياً لأدب الطفل في المجتمعات الغربية، لما كان ذلك فإنه بات من الضرورة بمكان تكاتف الجهود المعنية – رسمياً وأهلياً – من أجل تبني منهجية استراتيجية قائمة على التخطيط، وقادرة على انتشال أدب الأطفال في مجتمعاتنا الإسلامية من خانة اللاوعي؛ لنجد أنفسنا محققين ما نطمح إليه في هذا النطاق من خلال صناعة احترافية تكفل خصوصية متناغمة مع عالم الإبداع والمبدعين في هذا المجال، وذلك بدلاً من الارتجال والعفوية التي باتت غير مجدية، وغير قادرة على تحقيق نقطة تحول في مسيرة أدب الطفل في مجتمعاتنا المعاصرة، وذلك إما بسبب غياب الوعي بحيوية هذا القطاع، وإما بسبب العشوائية في الكتابة الموجهة للطفل، وإما بسبب التضارب في التوجهات المستهدفة التي يجري من خلالها توظيف أدب الأطفال في مجتمعاتنا. ففي الوقت الذي تجد فيه من ينادي بضرورة توظيف أدب الطفل من أجل

إحياء تعلّق الطفل بدينه، وأن ذلك لا يمنع من التناغم والتجديد في القوالب التي يقدم من خلالها أدب الأطفال من خلال التمسك بالثوابت، والانفتاح على الإبداع المتجدد في هذا المجال، فإن هناك من يوصي بضرورة محاكاة التجارب الغربية في ذلك دون العمل على تصفيتها وتحليل مضامينها، وهذا التوجه قد يصب في تعزيز الارتباط بالقيم الإنسانية المشتركة، وعندئذ فلا استشكال، ولكنه قد يدمّر الخلايا الفكرية التي تصنع التوجهات عند الطفل لتصيبها في مقتل.

إن دعوتنا من خلال صفحات هذه الدراسة تتلخص في ضرورة العمل على صناعة الخصوصية المبدعة في التخطيط لأدب الطفل المسلم، وذلك من خلال نظرة استراتيجية متبصّرة تؤطّر توظيفها وتفاعلها مع أدب الطفل باعتباره نطاقاً حيوياً ينبغي أن يرتبط بالإبداع في جملته وتفصيله، وذلك من خلال الربط بين الأصالة الممتدة من جانب، مع ضرورة إدراك أهمية التناغم مع معطيات الواقع بحرفية ليس من شأنها أن تخترق معالم الخصوصية التي ارتبطت بأدب الطفل في صيغته الإسلامية من جانب آخر، والتي ينبغي أن نستوعب أنها تحتاج إلى تأهيل في شكلها وقوالبها، وفي مضمونها وجوهرها.

وتبدو أهمية هذه الدراسة في محاولتها إيجاد صيغة متطورة ومتناغمة مع متغيرات الواقع لأدب الطفل أهمية، باعتبار أن الاهتمام بهذا القطاع لا ينشأ إلا من مجتمع ناضج يدرك بوعيه كيف أن بناء الإنسان – خاصة في مرحلة الطفولة – هو العنوان لمجد الأمة القادم؛ ذلك أن التعويل على التغيير في أزمة الواقع تبدأ من تلك المرحلة الحساسة التي إما أن تصنع إنساناً مؤمناً بقدراته وملَكاته، وقادراً على أن يكون عنصراً مؤثراً في نظرته للحياة وتفاعله معها، وإما غير ذلك.

إن ما يوظّف من خلاله أدب الطفل ينبغي أن يسترعي انتباهنا باعتباره يمثل واحة خصبة لتنمية المجتمع وتطوير ثروته البشرية التي يستهدفها محور التحديث في كل مجتمع، وهذا ما تطلّب منا الاهتمام بهذا الجانب وتوظيفه على نحو يكفل صقل الإنسان من خلال نظرة الإسلام لهذا الإنسان المكرّم على سائر المخلوقات بفضل ما حباه الله تعالى من قدرات أهلته لعمارة الأرض.

ويمكن القول إن الإضافة العلمية المتحققة من هذه الدراسة، والتي يمكن أن تعتبر تحفيزاً أو تكميلاً أو تأصيلاً للجهود المبذولة في هذا المجال، تتمثل في معالجة للجذور التاريخية للأدب الإسلامي للطفل، وما يرتبط من امتداد وتداعيات وأبعاد لأزمة أدب الطفل في الواقع المعاصر لمجتمعاتنا، والجهود المبذولة لإبراز الصيغة الإسلامية لهذا الأدب، والآليات الاستراتيجية القائمة على التخطيط، والكفيلة بتحقيق نقلة نوعية يتحقق من خلالها ما نطمح أن نرى عليه أدب الطفل المسلم في شكله ومضمونه وتوظيفه.

وبالرغم من كثرة الدراسات التي كتبت حول أدب الطفل، والتي عالجت ما يرتبط به من حيث الجانب الفني والجمالي الذي من شأنه تطوير ملَكات الطفل وصقل قدراته وبناء خياله المتوقّد، إلا أن الدراسات التي تعالج الأدب الإسلامي المرتبط بالطفل دراسات شحيحة، وهذا ما استلزم الاستعانة بمصادر أخرى من أجل تحصيل ما نستهدفه من أدب الطفل من خلال تبني منهجية التخطيط المدروس والمحكم والقائم على قراءة لمعطيات الواقع ومتغيراته...

ووصولاً إلى هذا المستهدف، فقد صيغت هذه المدرسة في ضوء الاعتبارات الآتية:

١- هناك امتداد يرتبط بالحضارات الإنسانية القديمة عكس تنوعاً في الفنون الإبداعية في أدب الأطفال.

٢- إن التراث الأدبي الإسلامي زاخر بالعديد من الفنون الإبداعية على نحو من شأنه أن يقرر الخصوصية والتميز في أدب الطفل المسلم.

٣- ترتبط أزمة أدب الطفل المسلم في الواقع المعاصر بأبعاد تتمثل في غياب التواصل مع التراث الأدبي الإسلامي من جانب، والتناغم مع مستجدات الواقع في هذا الفن من جانب آخر.

٤- في ظل الأزمة التي يعيشها أدب الطفل المسلم في الواقع المعاصر، فإن الإبداع والخصوصية في فنون أدب الأطفال بصيغتها الإسلامية ليس صعب المنال.

٥- إن تبني استراتيجية من أجل تنمية جوانب الخصوصية والإبداع في أدب الطفل المسلم تستلزم برنامجاً يتحقق من خلاله ربط هذا الفن بالثقافة الإسلامية بالبعد التربوي والسلوكي والقيَمي.

وقد جاءت فصول الدراسة لتجيب عن بعض الإشكالات المرتبطة بهذه الفرضيات.



الفصل الأول

مفهوم أدب الأطفال

الوظائف والأهداف

ترتبط بأدب الأطفال الكثير من المسائل التي يعتبر الخلاف حولها سبيلاً إلى هيمنة ضبابية في الكثير من المعطيات المرتبطة به في الشكل والمضمون، وبغية إزالة هذه الضبابية، لا بد من التعريج في هذا الفصل على عدد من المحاور الكفيلة بتقريب مفهوم أدب الأطفال، والإجابة على العديد من التساؤلات التي ترتبط بماهيته، وذلك للاختلاف المثار حول تحديد مفهوم أدب الأطفال وماهيته وطبيعته التي يمكن من خلالها وصفه بكونه أدبا في المقام الأول، وموجها للأطفال ومختصا بهم بعد ذلك.

وحول ما يرتبط بجانب تمثل القيم الإنسانية في أدب الأطفال، لا بد من الإشارة إلى أن هذا التمثّل من شأنه أن ينتج خصوصية بارزة ومؤثرة قد تنتهك الأطر العامة لهذا الأدب، لا سيما في القيم الإنسانية، سواء من حيث تشكّلها أو من حيث معالجتها وتحديد سلم الأولوية في تبني إحيائها واستهداف إيصالها من خلال النصوص التي توجه للأطفال.

ومن أجل ذلك، فإن هناك اختلافاً في الوظائف والأهداف والتطلّعات التي يتقرر من خلالها تقديم أدب الأطفال في قوالب تتناسب مع توجّهات المجتمع في نظرته للطفولة، وفي تطلعاته التي يستهدفها بتوجيهها من خلال النماذج الأدبية التي يقدمها لها في قوالب مختلفة.

أولاً: المفهوم والماهية

بالنظر إلى دلالة لفظة (الأدب) فإنه يتضح بأن للأدب معنيين (عام وخاص)، فأما المعنى العام فهو يدل على الإنتاج العقلي عامة مدوناً في كتب، أما المعنى الخاص فإنه يدل على الكلام الجيد الذي يُحدث لمتلقيه لذة فنية، هذا إلى جانب المعنى الخلقي. وقد كان الأدب في الجاهلية شعراً وخُطَباً، وانضم إليهما في أواخر العصر الأموي الكتابة الفنية، وكان القدماء يصنّفون الشعر تبعاً لموضوعاته إلى (فخر، وغزل، ومدح، وهجاء وغيرها)، والكتابة إلى (رسائل ديوانية، وإخوانية، ومقامات). واختلفوا في القصص،

كما خضعت هذه التقسيمات كلها لتغييرات كبيرة تبعاً للاتصال العربي بالأدب الغربي، واتخاذ المفاهيم الغربية أساساً للتصنيف.[١]

أما الأدب بمعناه الخاص، فإنه إذا أضيف إلى الأطفال، فإن الإضافة تحصره ضمن مخاطبة عقلية وإدراك لشريحة عمرية لها حجمها العددي الهائل في صفوف أي مجتمع، فهو أدب مرحلة من حياة الكائن البشري لها خصوصياتها وعقليتها وإدراكها وأساليب ثقافتها في ضوء مفهوم التربية الوجدانية[٢].

وفي ضوء ذلك، فإن المقصود بأدب الأطفال: هو ذلك الإنتاج الفكري الموجّه للأطفال والناشئة في مراحل أعمارهم المختلفة، من المواد المطبوعة (الكتب والمجلات)، والمواد غير المطبوعة (الأفلام والتسجيلات).[٣]، وهو الأدب المؤسّس على إبداع فني، والذي يعتمد بنيانه اللغوي على ألفاظ (سهلة، ميسرة، فصيحة، متفقة مع القاموس اللغوي للطفل، وتتضمن خيالا ومضمونا وقصرا مقصودا)[٤].

يذكر الهيتي بأن أدب الأطفال يعد فرعاً جديداً من فروع الأدب الرفيعة، وأنه يمتلك خصائص تميزه عن أدب الكبار رغم أن كلاً منهما يمثّل آثاراً فنية يتحد فيها الشكل والمضمون، كما أن من المتعذّر تحديد موضوعات أدب الأطفال؛ وذلك لأن ميادين الأدب سواء كانت للكبار أو للأطفال فسيحة وواسعة الآفاق، ولكن يمكن القول إن موضوع أدب الأطفال هو عرض للحياة من خلال تصوير وتعبير متميزين.

١- الموسوعة العربية الميسرة، ١٩٨٧م، دار نهضة لبنان، بيروت – لبنان، ص ٨٦.

٢- زلط - أحمد علي، مدخل إلى أدب الطفولة... أسسه، أهدافه، وسائطه (ثقافة الطفل المسلم)، ٢٠٠٠م، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض – السعودية، ص ١٩.

٣- سهير أحمد محفوظ، الخدمات المكتبية وأدب الأطفال، ١٩٩٧م، المكتبة الأكاديمية، القاهرة – مصر، ص ١٦٧.

٤- زلط - أحمد علي، مدخل إلى أدب الطفولة... أسسه، أهدافه، وسائطه (ثقافة الطفل المسلم)، مرجع سبق ذكره، ص ٢٠.

كما أشار الهيتي في تحديده لمفهوم أدب الطفل إلى أنه إذا أريد بأدب الأطفال كل ما يقال إليهم بقصد توجيههم فإنه قديم قدم التاريخ البشري حيث وجدت الطفولة، أما إذا كان المقصود به ذلك اللون الفني الجديد الذي يلتزم بضوابط فنية ونفسية واجتماعية وتربوية، ويستعين بوسائل الثقافة الحديثة في الوصول إلى الأطفال، فإنه في هذه الحالة ما يزال من أحدث الفنون الأدبية.وعليه فإن أدب الأطفال – في مجموعه كما يرى الهيتي – هو تلك الآثار الفنية التي تصوّر أفكاراً وإحساسات وأخيلة تتفق ومدارك الأطفال، وتتخذ أشكالا متعددة، منها : القصة، والشعر، والمسرحية، والمقالة، والأغنية)[١].

ولعل ما يتضح من خلال الدلالات آنفة الذكر أن الأدب المرتبط بالأطفال كضرب من الأدب ليس أدباً جامداً، بل هو أدب تتنوّع أدواته وتوظيفاته من أجل تحقيق العديد من المعطيات والارتباطات، و غرس عدد من القيم التربوية، أو إيصال مجموعة من الرسائل المرتبطة بهذه المرحلة من نشأة الإنسان.

ومن جانب آخر، فإن مما يرتبط بدلالات مفهوم أدب الأطفال أنه أدب ليس من صنع الأطفال، حيث يرتبط في غالبه بالتربية عندما يكون الطفل في مرحلة النمو والتلقّي لمختلف ما يرتبط بحياته من ممارسات وسلوكيات وثقافة وهوية، فهو أشبه بالغذاء الثقافي للطفل؛ لذلك فإنه على درجة من الأهمية تقتضي التدقيق والتمحيص لارتباطه بالأبعاد المتجذّرة لكل مجتمع على حدة، وذلك وفق ما تفرضه خصوصياته وهويته.

إن أدب الأطفال يتناغم، في صورته وحقيقته، مع المستجدات التقنية والتوظيفية التي تساعد على تحقيق الغاية بوسيلة ذات جودة تتواءم مع

١- الهيتي – هادي نعمان، أدب الأطفال (فلسفته، فنون، ووسائطه)، ١٩٨٦م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة – مصر، ص ٧٢.

المعطيات التي من شأنها أن تجذب الطفل إلى هذا الأدب؛ ليتعلق بوجدانه، وترتبط بأهداف تتعلق بالبعد التربوي وتنمية اللغة والثقافة في قالب أدبي جذاب لاهتمامات الطفل وميولاته.

وضمن هذا النطاق، يقدم أحمد زلط مفهوماً أدبياً محدداً لأدب الطفولة فيقول: (إن أدب الطفل العربي يمكن حصره في دائرتين:

- دائرة الشعر التي تتضمن الأمهودات (أغاني المهد)، وأغاني الترقيص واللعب وأراجيز الألغاز والأناشيد والدراما الشعرية المبسطة.

- دائـرة النـثر، وتضم: الحكايات القصصية المتنوعة، والحكايات الخرافية على ألسنة الحيوانات والطير، والأمثال والأحاجي اللغوية التي يكتبها الكبار للصغار في ضوء مراحلهم العمرية وخصائص نموهم، وهو نوع أدبي متجدد في أدب أي لغة. وفي أدب لغتنا هو ذلك النوع المستحدث من جنس الكبار - شعره ونثره، وإرثه الشفاهي والكتابي - فهو نوع أخص من جنس أعم يتوجه لمراحل الطفولة بحيث يرقى المؤلف بلغة الأطفال وخيالاتهم ومعارفهم واندماجهم مع الحياة، مع مراعاة النمائية وتحقيق الأهداف (الوظائف) التربوية والأخلاقية والفنية والجمالية والترويجية فيما يقدم للأطفال من نصوص الأنواع الأدبية)[١].

وفي ظل ما يقدم للأطفال، فإن تصنيف أدب الأطفال يتقرر من خلال الأهداف المرتبطة به، فحين تجتمع الأهداف اللغوية والتربوية والثقافية، فإننا نكون أمام أدب أطفال مكتمل المعالم. وبما أن هناك أدب أطفال فإن هناك أدب للكبار، بل هناك أدب للفتيان والشباب، وكأن التصنيف للأدب قد وقع باعتبار السن، وإن كان هناك ضرورة لوضع اعتبار لقاسم النوع - ذكر وأنثى - والبعد الثقافي الانتمائي، وما إلى ذلك من اعتبارات...

١- زلط - أحمد علي، مدخل إلى أدب الطفولة... أسسه، أهدافه، وسائطه (ثقافة الطفل المسلم)، مرجع سبق ذكره، ص ٣١.

وإذا كانت الآراء السابقة تلخص منظومة أدب الأطفال في نماذج متعددة توردها على سبيل المثال أو الحصر على غرار ما ورد عن أحمد زلط، وتضع لها أطرا واعتبارات، فإن رشدي طعيمة يرفع هذا التأطير ليعرّف المقصود بأدب الأطفال بأنه يمثل الأعمال الفنية التي تنتقل إلى الأطفال عن طريق وسائل الاتصال المختلفة، والتي تشتمل على أفكار وأخيلة، وتعبّر عن أحاسيس ومشاعر تتفق مع مستويات نموهم المختلفة.

يرى طعيمة بأن مجالات الأعمال التي يستوعبها أدب الأطفال تتسع لتشمل عدة أنواع منها: متاحف الأطفال التي يعرفون من خلالها تاريخ الشعوب وتطور الحضارات، ومنها المسارح التي تصل بهم إلى درجة كبيرة من المتعة والتأثر لما تموج به من حركة، وما تجسّده من شخصيات وما تنقله، بالإضافة إلى اسطوانات الأناشيد والأغاني التي تنمّي في نفوسهم التذوّق الأدبي، ودوائر معارف الأطفال التي توسّع مداركهم وتزيد ثقافتهم، ومنها معاجم الأطفال المصورة التي تشرح المفردات والتراكيب، وقصص الأطفال التي تغذّي خيالهم وتثير انفعالاتهم، وتشبع حاجاتهم إلى المعرفة والتثقيف، بالإضافة إلى طرق أخرى كثيرة[1].

وبناء على ذلك، فإنه لا يمكن حصر الأدوات التي يمكن أن يتضمنها أدب الأطفال باعتباره أدباً متجدداً يرتبط بتوظيف التقنيات والابتكارات في قنوات الاتصال بالطفل، ولا شك أن تحقيق الدمج بين هذه الوسائل كفيل بتجويد فعالية الأدوات التي ينتقل من خلالها هذا الضرب من الأدب إلى الطفل.

وبذلك، فإن مفهوم الأدب، إذا أضيف إلى الأطفال، فإن هناك من يحصره في الصور الأدبية التي توظف فيها اللغة، وهناك من يجعله مستوعباً

١- رشدي أحمد طعيمة، أدب الأطفال في المرحلة الابتدائية – النظرية والتطبيق (مفهومه وأهميته، تأليفه وإخراجه، تحليله وتقويمه)، ط.١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، دار الفكر العربي، القاهرة-مصر، ص٢٤.

لكل صور التنمية الثقافية للطفل أيا ما كانت الآلية التي يتحقق من خلالها التوظيف. وفي رأيي، فإن تأطير المفهوم والماهية لأدب الأطفال لا زال ينتابه جانب من الغموض وعدم التحديد، فإذا كان أدب الأطفال كذلك، فكيف يندرج ضمنه ما بعد عن توظيف اللغة من خلاله من عناصر أخرى أشار إليها طعيمة، وما هي الأطر التي يتحدد من خلالها نطاقه وفئاته العمرية، وهل هذا مرتبط بدرجة النمو الاستيعابي والفكري للطفل ؟

وتفاعلا مع هذه التساؤلات، يقرر ناصر يوسف بأن: الالتباس والغموض لا يزالان يحيطان بمفهوم أدب الأطفال في أطروحات كثير من الباحثين العرب الذين عالجوا الموضوع، وأن هذا الالتباس ناجم عن الخلط بين طبيعة هذا الأدب الوليد، ومن ثم موضوعاته ووسائطه وغاياته. كما بَيَّن من جانب آخر أن توقف الباحث العربي ضمن هذا الإطار يحصره في مفهومين مختلفين: المفهوم الحضاري الثقافي العام الذي يمتد إلى أساليب غير أدبية هي أدخل في الثقافة والتوجيه والتربية. وبهذا المفهوم، فإن أدب الأطفال هو كل ما يقال لهم بقصد توجيههم، كما أنه وفقاً للمفهوم ذاته فإن التخوم التي تفصل بين الأدب والتربية أخذت في التلاشي، وأنه يترتب على ذلك اختلاط المقاييس والأصول الفنية ومعايير النقد والتقويم.

ثم المفهوم الثاني الذي ينظر إلى أدب الأطفال باعتباره ضرباً من ضروب الأدب العام لا ينفصل عن أي فن أدبي آخر، وأن ما يميز ميدان أدب الطفل وميدان ثقافته هو اختلاف القوالب الفنية والأشكال التي تستوعب كلا الجانبين[١].

وأيا كان المفهوم، فهناك اتفاق حول الأهمية الكامنة فيه ومكانته المتزايدة في إعداد وتهيئة إنسان المستقبل.

١- ناصر يوسف أحمد، القصص الفلسطيني المكتوب للأطفال (١٩٧٥ – ١٩٨٤م)، ط.١، ١٩٨٩م، دائرة الثقافة – منظمة التحرير الفلسطينية، ص ٢١.

وقد بيّن أحمد المصلح الخصوصية التي يمتاز بها أدب الأطفال من خلال التعريف الدقيق الذي قدمه لذلك، وبين تميزه عن أدب الكبار بقوله: (الكتابة للطفل مهمّة صعبة، فهي بالإضافة إلى كونها تحمل قضية محددة الأهداف وواضحة المعالم، فهي تتطلب أيضاً رؤية فنية غنية، فعملية الإيصال هنا معقّدة). كما بين جوانب الخصوصية في أدب الأطفال فقال: (إن عملية الكتابة للكبار لا يعنيها إطلاقاً المستوى العقلي للمتلقي؛ لأنها تتوجه بالأساس إلى معدل ذكاء ثابت نسبياً لدى الجميع، أما الكتابة للأطفال فلا تملك إلا أن تراعي مستويات الذكاء المختلفة تبعاً لمراحل نمو الشخصية الكلية للطفل)[1].

كما عبّر الناقد عبد الله أبوهيف عن الصعوبة الكامنة في الكتابة في أدب الأطفال، وذلك حين ميّز بين أمرين في غاية الأهمية هما: (سياق النص والسياق التربوي)، حيث أكد بأن هناك ثمة منظومة كلمات هي من طبيعة الأدب، وثمة منظومة قيم هي من داخل لغة تتعدى مجرد مخاطبة الأطفال إلى إذكاء روحهم وإثارة وجدانهم بجوهر الحياة[2].

وفي ختام استعراض ناصر يوسف لدلالات الغموض في مفهوم أدب الأطفال وماهيته، فقد أشار إلى أنه في ظل الثنائية التي لا بد وأن ينطوي عليها أدب الأطفال: يتعين على الأدب أن يعرض للمواعظ والتوجيهات التربوية بطريقة عفوية تستخلص من نسيج العمل الأدبي بصورة ضمنية[3].

إذاً، فإن أدب الأطفال يمثل منظومة أدبية تصب في قوالب ذات سمات

١- المصلح – أحمد، أدب الأطفال في الأردن، ط.١، ١٩٨٣م، منشورات دائرة الفنون والثقافة، عمّان – الأردن، ص ٢٣.

٢- أبو هيف – عبد الله، أدب الأطفال نظرياً وتطبيقياً، ١٩٨٣م، اتحاد الكتاب العرب، دمشق – سوريا، ص ٣١.

٣- ناصر يوسف أحمد، القصص الفلسطيني المكتوب للأطفال (١٩٧٥ – ١٩٨٤م)، مرجع سبق ذكره، ص ٢٩.

تجعلها ملائمة لما وظفت من أجله؛ وذلك ابتغاء تحقيق أهداف تربوية وتثقيفية وتحفيزية وما إلى ذلك. والمهم أن تكون الأداة التي يتحقق من خلالها الاتصال بالطفل عبارة عن قوالب أدبية، أما إذا كانت غير ذلك فإنه يمكن أن تندرج تحت منظومة ثقافة الطفل التي تتسع لتستوعب مختلف الجوانب التي تتعلق بالإبداع في تشكيل شخصية الطفل وصقل مواهبه، وترقية الجانب العاطفي واللغوي عنده في المقام الأول[١].

ثانياً: تمثّل القيم الإنسانية في أدب الأطفال.

ارتبط مدلول أدب الطفل إلى حد كبير بمعنى التربية عند بعض المعنيين بهذا الميدان من الكتّاب، وأصبح النص الأدبي لديهم مطية مباشرة لغاية تربوية يعرضونها بأسلوب وعظي إرشادي مباشر على حساب الفن الأدبي للطفل وخصائصه وشروطه والجانب الجوهري في توظيفه المتمثّل في إبراز الوسيلة الأدبية لأي فن من فنون الأدب، مما أدى إلى جعل هذا الفن الوليد في صورته الحديثة يعاني من مشكلات عدة صاحبت النشأة ولا تزال تجد لها حيزاً في ظل انعدام النقد والتقويم والتوجيه.

وتتمثل أهداف تلك المضامين التربوية في إبراز قيم إنسانية وإحلالها محل تلك القيم السلبية التي تكون موضع انتقاد بهدف تغييرها، أو بهدف إبراز بعض القيم وغرسها وتسخيرها لخدمة الاتجاهات والمضامين الأخرى[٢]. سيما وأن هناك تأثيرات أسهمت في التمكين لقيم وعادات واتجاهات سلوكية معينة تصل إلى الطفل عن طريق المجتمع الذي يعيش فيه، ويسعى إلى إكسابه الصفات والعادات الاجتماعية من خلال سعيه إلى صقل الطفل ضمن الإطار الذي يرتئيه، لا سيما وأن الإنسان يكتسب من البيئة الخارجية

١- زلط - أحمد علي، أدب الطفولة... أصوله.. مفاهيمه.. رواده، سلسلة دراسات في الأدب والنقد (١) أدب الطفولة، ط.٢، ١٩٩٤م، الشركة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، ص ١٦.

٢- ناصر يوسف أحمد، القصص الفلسطيني المكتوب للأطفال (١٩٧٥ - ١٩٨٤م)، مرجع سبق ذكره، ص ١٨٣.

المحيطة به سائر المقوّمات السلوكية والقيم الإنسانية التي تيسّر أساليب إدراك هذه البيئة وطرق التفاعل معها؛ لتحقيق التكيّف الحيوي والحضاري الذي يحدده المجتمع الذي يعيش فيه[١].

إن أدب الأطفال يعتبر من بين الوسائل الأكثر أهمية باعتباره وسيلة لنقل القيم الإنسانية السائدة في المجتمع، والتي تتمثل في التراث الاجتماعي والديني والسلوكي للطفل بشكل ينسجم مع ما يراه المجتمع؛ وذلك لما له من قدرة على التأثير والتوجيه بفعل خصائصه وطبيعته من جانب، والاستعداد الطبيعي عند الطفل لتقبّل القصص والحكايات والاستماع إلى الأناشيد من جانب آخر.

وأياً ما كانت التوجّهات التي تقرّرت في توظيف أدب الطفولة، فإن الاتجاه الذي يفرض نفسه في هذا المضمار يتمثّل في اعتبار أدب الطفل أحد الوسائل المؤثّرة والمهمّة الناجحة في غرس أو تعديل القيم المطلوبة اجتماعياً، وقد كانت القصص ميداناً خصباً لعرض أهم القيَم وأنواع السلوك في وجهيها الإيجابي المرغوب فيه، والسلبي بهدف كشف أضراره وأخطاره على من يحمل قيَماً سلبية، فقد ثبّتت القصص قيَم العمل والاعتماد على العقل في حل المشكلات والتواضع والاحترام للآخرين والتعاون والتضحية والوفاء والعدل، وسلّطت الضوء على نقائض هذه القيم، والتي تعتبر نقائص في الشخصية التي تمارسها فحاربت إبعاد العقل وعدم إعماله والاستعانة به، كما نفّرت الطفل من الغرور والأنانية، والاتكالية والكسل والتعالي على الآخرين والتفرّد في الرأي والاستبداد والظلم، محققة التقاء كبيراً مع الأهداف الفلسفية التربوية الموضوعة للمجتمع[٢].

١- أحمد زكي صالح، علم النفس التربوي، ط.١٠، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة – مصر، ودار الثقافة، بيروت – لبنان، ص ٣٠٩.

٢- ناصر يوسف أحمد، القصص الفلسطيني المكتوب للأطفال (١٩٧٥ – ١٩٨٤م)، مرجع سبق ذكره، ص ١٨٤.

ويقرر استقراء القصة، النمط الشائع في أدب الأطفال، أنه يستوفي القضايا التربوية، ويتنازلها في مختلف أبعادها، وذلك من خلال توضيح الأوجه الإيجابية وتعزيزها، وعزل نقائص السلوك ومثالبه والابتعاد عنها، مع توظيف العديد من المصادر لتحقيق تنمية القيم الإنسانية من خلال أدب القصة، كالتراث والشخصيات الإنسانية والشخصيات المؤنسنة، بالإضافة إلى عناصر من الطبيعة تجتمع في نسيج فني معبر عن مضمون هادف من شأنه أن يعزّز البناء السليم للأطفال، ويلتقي بقوة مع أهداف فلسفة التربية وغاياتها ؛ ابتغاء تحقيق التطابق بين مضامينها وأهداف فلسفة التربية التي تتخذ من أدب الأطفال وسيلة مهمة لغرس هذه القيم وتنميتها، وذلك في إطار الأهداف العامة للتربية في المجتمعات العربية والشرقية، والتي تتصدى لنفس الغايات وتسعى إليها، وهي كذلك في تطابق تام ولقاء مع الأهداف العامة للتربية التي تسعى إليها الإنسانية بشكل عام[1].

ولعل أبرز ما يرتبط بجانب الخصوصية في هذا التوظيف ما يتعلق بتنمية الجانب العقدي؛ تحقيقاً لتربية جيل مؤمن ومرتبط بأسمى ما يمثل خصوصيته وتفرّده، حيث أن ما يتصل بتنمية الجانب العقدي يتمثل بما ترتبط به القيم الإنسانية من مفاهيم في هذا المضمار في نطاق الممارسات التربوية والسلوكية، حيث تكون القيم في هذا المضمار لبنات لبنيان أخلاقي متماسك، وسلوك اجتماعي راقٍ، والتي هي في الأساس مرتبطة بالبعد العقدي، بل هي تنبثق عنها ابتداء.

ومن جانب آخر، فإن القيم الإنسانية ترتبط بأدب الطفل من خلال الأهداف المعرفية المرتبطة بالعقل لدى الإنسان، والتي يرمي أدب الأطفال إلى تحقيقها هي الأخرى باعتبارها من أسمى القيم الإنسانية التي تنمي الفكر لدى الطفل بإذكاء الفعاليات العقلية وتقويتها لإكسابه أنماطاً من

١- المرجع السابق، ص ٢٢٣.

التفكير العقلي السوي من جانب، ومنحه القدرة على الاستقراء والاستنتاج والتحليل والتركيب والحكم على الأشياء من جانب ثانٍ، ومدهه بثقافة عامة بمختلف ضروب المعرفة مما يرتبط بمجتمع الطفل المحيط به من جانب ثالث، سواء منها المعلومات والحقائق العلمية، أو النظريات والأعراف والعادات الاجتماعية، وأنه متى ما خلا النص الأدبي من مثل هذه المعرفة فإنه يفقد أهدافاً أساسية.

على أن هذه القيم الإنسانية التي تمثّلها جوانب قدرات الطفل في تفاعلاته عندما توظّف في منظومة أدب الأطفال لا بد أن تهتم بتحقيق الأهداف اللغوية في النصوص الأدبية باعتبارها أوجب وآكد؛ ذلك أن وعاء اللغة هو وعاء الفكر، وأن الطفل إذا وعى طائفة من المعارف العامة فلا بد له من معرفة الألفاظ ودلالاتها وأساليب استخدامها باعتبارها وسيلة لذلك؛ ليكون قادراً على التعبير الصحيح عن تلك المعارف، وذلك وفقاً للقاموس اللغوي الذي ينبغي تنميته وتوسيع قنواته ليكون قادراً على استيعاب المستجدّات الفكرية الوافدة عليها، مع مراعاة احتياجات كل مرحلة عمرية من الرصيد اللغوي المطلوب.

إن بناء منظومة واضحة المعالم للحقائق اللغوية التي يوظّف أدب الأطفال لخدمتها وتحصيلها ينبغي أن يكون مشروعاً مشتركاً لكل من مؤلف النص الأدبي والطفل؛ وذلك من أجل تحقيق التناسب بين الحصيلة اللغوية للطفل طرداً مع تحصيله العلمي، ولا شك أن عدم مراعاة هذا التناسب من شأنه أن يزهّد الطفل في القراءة ويصرفه عنها؛ وذلك لما يجد من صعوبات في مواجهة الألفاظ وتعلّمها.

ومن جانب آخر، فإن بعض المؤلفين يتصدّون لهذه العملية ويقحمون أنفسهم فيها وهم لا يملكون أي تصوّر لظروف الطفل النفسية وحاجاته اللغوية، فينعكس ذلك على ما يقدّمونه للطفل من نصوص غير ذات شكل

أو مضمون، لا سيما في ظل روح التجارة والكسب التي تتعامل بها بعض دور النشر لكتب الأطفال، غير ملقية بالاً لأي اعتبارات علمية أو تربوية، وما ترتب على ذلك من نشر لأعمال مرتجلة وتافهة لا تحقق أي هدف من أهداف أدب الطفل.

ولتقليل خطر هذه المعوّقات والحد من عواقبها السلبية في سبيل تحقيق هدف التنمية اللغوية للطفل من خلال القوالب الأدبية التي تقدم له، لابد من وضع قاموس لغوي يشترك في صياغته نخبة من المتخصّصين يسترشد به كتّاب النصوص الأدبية للطفل حتى تحقق هذه النصوص هدفها في الارتقاء بلغة الطفل وتوسيع مداركه فيها، وإكسابه ألفاظاً وتعابير جديدة. ولاشك أن هذا العمل لا يصلح أن يكون فردياً، بل لا بد أن تتبناه جهة تربوية ذات صفة رسمية تتابعه وتشرف عليه. وبالنسبة للتأليف للأطفال فإنه لا يجوز أن نجعل من أطفالنا – بسبب ضعف المؤلفين – حقول تجارب، ونعرّضهم لنماذج سيئة من القصص والكتب التي تؤثر سلبا، كما لا بد أن تخضع مطبوعات الأطفال قبل إخراجها للإجازة من قبل هيئة متخصّصة معنية بالطفل وأدبه، ولا بد كذلك من جهة أخرى تقوم بالمراقبة المستمرة للآباء والمربّين، وتعمل على تأهيلهم على نحو يكفل لهم اختيار ما من شأنه تحقيق القيمة العلمية والتربوية للطفل[1].

وبذلك فإن القيم الإنسانية في ارتباطها بالأهداف المقصودة من توظيف أدب الأطفال تتحقق من خلال بعد عقدي وثقافي مرتبط بالامتداد المتجذّر للمجتمع، وهي تختلف باعتبار نطاق الوجود والأولوية في النظرة إلى هذه القيم لكل مجتمع على حدة، كما أن أهمية أدب الأطفال تتمثل في نطاق تقريره وإرسائه لمنظومة القيم الإنسانية من كونه يشكّل أداة أساسية في التأثير على الطفل، مستفيداً من نصاعة تفكيره واتساع أفقه ورحابة

١- الأسعد –عمر، أدب الأطفال، ط.١، ٢٠٠٣م –١٤٢٤هـ، عالم الكتب الحديثة، إربد –الأردن، ص ٦٩.

خياله، إلى جانب رهافة حسه ورقّة مشاعره؛ ليستلهم الأديب من كل ذلك خامةَ نَصِّهِ ويُقدِّمَهُ مُنمَّقاً بسيطاً يسير بمدارك الطفل وحواسّه ومشاعره نحو الوجهة السليمة، وينميها تنمية فعالة، مع الأخذ بعين الاعتبار عنصر الطرافة والتشويق.

ثالثاً: الوظائف والأهداف

إن لأدب الأطفال وظائف متعدّدة تبعاً لجهة تأثيره.. ترتبط بجوانب تنمية القيم الإنسانية، ولعلّ من أهمِّ هذه الوظائف: الوظيفة النفسية التي تظهر من خلال قدرة هذا الأدبِ على ضبط انفعالات الطفل ومشاعره وتوجيهها من خلال تقديم الصورة الإيجابية والمثالية التي يتأثر بها الطفل، فتجعله يوازن بين عواطفه تجاهها وتفاعله معها من جانب، وبين سلوكه في حياته من جانب آخر، كما أن تقديم مثل هذه الصورة ودعمها بالشخصيات المتزنة الملتزمة بالفضائل: إنما يبعد الطفلَ ما أمكن عن الأجواءِ المأساوية المحزنة والمناظر المخيفة التي يفرضها واقعنا المعيش، لاسيما إذا رافقت هذه الشخصيات مسحةٌ من المرح والحيوية، مُشيعةً بذلك أجواءً من المتعة والتشويق والفرح، وذلك عدا عن كون هذا الأدب يلبّي حاجة الطفل النفسية الدائمة في إرواء ميله إلى البحث والاكتشاف والمغامرة؛ ليروي فضوله ويجيبه عن التساؤلات التي تقلقُه، وبذلك يتمكن من إثبات ذاته وتنمية مواهبه وإبداعاته.

ولا يخفى ما لأدب الأطفال من وظائف تربوية مهمّة من شأنها إحياء القيم الإنسانية، وذلك باعتبارها تنطلق مما يتميز به الطفل ولا سيما في مراحله الأولى، من خيال نشط، وقدرة فائقة على التصور غير المنضبط، والذي قد ينعكس بشكل من الأشكال على واقعه ويدخل في عالمه الخاص، وذلك من خلال تأثّره بالمثل الأعلى أو الشخصية القدوة أو الفكرة السامية تبعاً للنوع الأدبي الذي يقرؤه، فهو غالباً ما يُقَدِّرُ صِفَةً منَ الصفات التي يتضمّنها

النص لتتفاعل هذه الصفة مع سلوكه الشخصي مطوّرة إياه بصورة إيجابية، وبذلك يتغير سلوك الطفل وبناؤه القيَمي وقد يتبدل تماماً.

ومن هنا فإن أدب الطفل – ولا سيما ما يعتمد منه على التشويق والتخيل المنسجم – غالباً ما يحقق أغراضاً تربوية مهمة، فهو يوفّر للطفل عالماً منوّعاً يوسع أفقه وينمّي قدراته اللغوية، ويدلّه على التفسيرات العلمية والمعلومات الصحيحة، مبعداً بذلك إياه عن الخرافات والتفسيرات البعيدة عن العلم أو المنطق، كما أن هذا الأدب يساير طبيعة الطفل وميلَهُ للتقمّص والتقليد، فيحقق ذاته وينتقل من دائرته الذاتية إلى الدائرة الاجتماعية.

كما تجدر الإشارة هنا إلى ضرورة ابتعاد أدب الأطفال عن التلقين والوعظ المباشر؛ وذلك لإتاحة الفرصة للطفل كي يستنتج القيم المقصودة والسلوك المرغوب فيه من خلال تحليل المواقف الإيجابية والعفوية للشخصيات، وبذلك تتفتح قدرات الطفل ومواهبه الذاتية، مما يسهم في نموّه السليم، إلا أنه يشترط، لتحقيق ذلك أيضاً، تقديم الموضوعات البسيطة التي لا تتعارض مع الأهداف التربوية أو الحياة الواقعية.

ولأن أدب الأطفال ينقل للطفل صوراً من بيئته أو من بيئات أخرى تتقاطع مع واقعه، فإنه بذلك يحقق شكلاً من أشكال التفاعل الاجتماعي، مؤدياً وظيفة اجتماعية مهمّة تتجسد من خلال تنمية الحس الاجتماعي لدى الطفل، فتبعده عن الفردية والأنانية وحب الذات والانطواء، وتُرسّخ عنده العلاقات السليمة في الأسرة والمدرسة والمجتمع، كما أن لمثل هذه النماذج من الأدب: القدرة على تعويد الطفل على النظام والانضباط والصبر والعقلانية والحِلم، وتهذّب حريته الشخصية وتضبطها في إطار انتمائه إلى الأسرة والمجتمع. وإلى جانب هذا وذاك، فإن الأدب يُطلع الطفل على بيئته والبيئات الأخرى، لا سيما فيما يتعلق بالأمور العائلية والعلاقات الاجتماعية، مما يؤهّل الطفل للتكيّف الإيجابي مع المجتمع والتعامل معه في المستقبل.

ومما يحسب لأدب الأطفال أيضاً: تعميقه للجذور التاريخية، وربطه ما بين الماضي المشرق والمستقبل المستشرف، حيث يرسّخ عند الطفل حب الوطن من خلال استحضار صورٍ مشرقة من تراثنا الأصيل، وشخصياتٍ فذة من قادة وعلماء ومفكرين وأبطالٍ، إضافة إلى إلقائه الضوء على ما قدّمته الحضارة العربية والإسلامية من نماذج إنسانية يُحتذى بها، مُسْهِمَةً بذلك في صنع الحضارة الإنسانية، ذلك كلُّه بأسلوبٍ جذّابٍ يحبّب الطفل في اللغة العربية وأساليبها الفصيحة، ويجدّد لديه الشعور بالفخر لانتمائه إلى هذه اللغة وإلى هذا التاريخ.

وإذا كانت هذه الوظائف وغيرها من شأنها أن تحقّق منظومة متكاملة من القيم الإنسانية الراقية، فإنها لا يمكن أن تؤتي أُكلَها إن لم تقدَّمْ في إطارٍ ينسجم مع عقل الطفل وقدرتهِ على الاستيعاب واستعداده للتخيّل، فهي وإن كانت وظائف سخيّة ومهمّة في تكوين الجانب النفسي والتربوي والاجتماعي عند الطفل، فهي لن تكون ذات جدوى إن لم تُصَغْ في قالبٍ فنيٍّ يتناسب من حيث الشكلُ والمضمونُ واللغةُ مع الفئة العمرية التي ينضوي الطفل تحتَها، مع ميله الشخصي واهتماماته حتى تبلغ أبعدَ مرمى لها ليكون لها الدور الفعّال والإيجابي[١].

وبذلك فإن مضمون أدب الأطفال يحقّق أهدافاً متعددة من الناحية الثقافية، حيث يربط الطفل بمستجدّات عصره، ويحقّق النمو اللغوي لدى الأطفال، ومن الناحية الخلقية، حيث يتحقّق جانب التنمية للطفل في خصاله الطيبة، ونفوره من الصفات الذميمة وجوانب الانحراف الخلقي، أما من الناحية الروحية فإن أدب الأطفال يهدف إلى تحقيق التوازن لدى الطفل بين الاتجاهات المادية السائدة في العصر الحديث، وبين القيم الدينية والروحية التي لا يستطيع الإنسان أن يحقّق السعادة الحقيقية

١- مقال لقحطان بيرقدار منشور على موقع شبكة الألوكة ضمن الرابط الإلكتروني:
http://www.alukah.net/Literature_Language/0/3539.

بدونها، أما من الناحية الاجتماعية فإن أدب الأطفال يهدف إلى تعريف الطفل بمجتمعه ومقوّماته وأهدافه ومؤسّساته، وما يجب أن يسود فيه من قيم وصفات اجتماعية، وهذا يكشف للطفل عن جوانب الحياة الاجتماعية، فيساعده على الاندماج في المجتمع والتجاوب مع أفراده، هذا فضلاً عن تعريفه بعمقه المرتبط ببعده الحضاري الممتد.

ومن الناحية العقلية يهدف أدب الطفل من خلال الإنتاج المناسب والمتفق مع أسلوبه إلى تحقيق فرص جيدة من النشاط العقلي المثمر في مجال التخيّل والتذكّر وتركيز الانتباه، والربط بين الحوادث، وفهم الأفكار، والحكم على الأمور، وحسن التعليل والاستنتاج، وما إلى ذلك مما يساعد على نمو هذه العمليات العقلية وتطوّرها. ومما يساعد على هذا أنه يقدم المضمون الجيد والمواقف المناسبة التي تساعد الطفل على التفكير، ومعرفة أنماط التصرف السليم، ومن أجل بلوغ أسلوب التفكير العلمي والعقلي المنظّم، وكيف يستطيع الإنسان أن يتصرّف في مختلف المواقف والمشكلات.

ويهدف أدب الأطفال من الناحية الجمالية إلى تقديم المعاني والأخيلة التي تستهوي الأطفال، والألوان الواقعية الجميلة التي تصوّر جوانب الحياة والوجود، والأساليب الأدبيّة الجميلة التي يتمثل فيها جمال اللغة، والرسوم الفنيّة التي تصاحب الإنتاج الأدبي المطبوع في الكتب، بالإضافة إلى تقديم المعلومات الفنية التي تثري حصيلة الأطفال عن الفن والفنانين وأعمالهم، وتقديم القيَم والاتجاهات التي تدعو إلى تقدير الجمال والذوق السليم، وما إلى ذلك.

ومن الناحية الترويحية، يكون أدب الأطفال وسيلة شيّقة ومفيدة لشغل أوقات الفراغ، وتسلية محبّبة تجلب المسرّة والمتعة إلى نفوسهم. أما في مجال بناء شخصيات الأطفال فإن الأدب المقدّم إليهم يعمل على تكوين المعايير والقيم والعادات والاتجاهات الصحيحة لديهم من خلال الانطباعات

السليمة التي يخرجون بها من المضمون الجيّد، وبهذا يساعد على تكوين الضمير أو الرقيب النفسي بصورة مرضية، مع تقوية جانب الإرادة في شخصيّات الأطفال بطريقة متزنة تساعدهم على التوفيق بين الرغبات الفطرية والغريزية من ناحية، وبين الظروف الواقعية التي يحيون فيها وما في المجتمع من تقاليد وقيَم من ناحية أخرى، هذا بالإضافة إلى إيجاد مواقف معينة يحويها المضمون الجيّد تهدف إلى تبصير الأطفال – بطريق غير مباشر – بأنماط من السلوك ونماذج من التصرّف يحتاجون إليها في مراحل نموهم المختلفة.[١] ومن الجدير بالذكر أن هناك طموحا يرسمه المعتنون بأدب الأطفال في مختلف القطاعات من خلال التوجّهات السائدة، فكل يوظّف أفكاره واقتناعاته من أجل تحقيق جيل يتبنّى أفكاره، ويحقّق في المستقبل مساره الذي تولّد نتيجة التفاعل مع أفكاره وآرائه.

وضمن النطاق العام، فإن هذا الطموح يتجسّد ضمن نطاق أدب الأطفال من أجل ما يلي:

- بناء إنسان جديد عن طريق تنمية شخصيات الأطفال جسمياً وعقلياً ونفسياً واجتماعياً ولغوياً؛ ليتفتحوا على علاقة مبدعة، حيث يضع أديب الأطفال نصب عينيه توفير أسباب النمو السليم المتكامل للأطفال من أجل إعدادهم لتحمّل مسؤولية الغد بعزيمة ووعي وكفاية وإخلاص.
- صقل سلوك الأطفال وفق قيم وقوانين، وتربيتهم تربية أخلاقية.
- إعداد الطفل ليعيش إيجابياً في المجتمع، ويختلط بالآخرين دون أن يضحّي بصفاته، وأن يتخّذ مكانه، ويتسّق طريقه، ويقدّر دوره، ويتحمّل مسؤوليته في المجتمع... المجتمع الذي يتطلّب العمل والتفاعل لصالح المجموع... المجتمع الذي يقدّر الفرد بقيمة ما يعطي لا بما يأخذ... المجتمع الذي يحيى فيه

١– أحمد نجيب، المضمون في كتب الأطفال، دراسات في أدب الأطفال (٢)، دار الفكر العربي، الإسكندرية – مصر، ص ٤٥.

الصديق والعدو، الطيّب والخبيث، والخير والشر؛ إذ لا بد أن يتهيّأ الطفل للتمييز بين هذا وذاك، ويغلّب الأول على الآخر. وأن يعد لتغيير العلاقات الاجتماعية في الماضي والحاضر والمستقبل، لا سيما وأن الملاحظ أن الأطفال توّاقون للسيطرة على عالمهم وإدراك الحياة الاجتماعية من حولهم، وهم يجدون لذّة في التكيّف مع المجتمع والاندماج فيه.

● أن يلتزم الأطفال بالنظام السليم، ويتوافقوا مع الأنماط السلوكية التي تقوم على الحب والعدل والمساواة والخير للإنسانية.

● أن يشعر الأطفال بالاستقرار والأمن؛ وذلك لأن هذا الإحساس هو الأساس في بناء صرح الحياة النفسية للطفولة؛ لذا نراهم يتساءلون بريبة عما يحيط بهم، ولا يقر لهم قرار مالم يطمئنوا إلى محيطهم، ولا شك أن أدب الأطفال يعتبر وسيلة إلى الاطمئنان والسعادة والأمل.

● السعي إلى أن يعتاد الأطفال على عادات طيبة، وينفروا من العادات السيئة، فقد يقرأ الأطفال معلومات ومُثلاً أخلاقية كثيرة ويفهمونها، ولكن هذه المعلومات والمثل تظل غير ذات جدوى إن لم تتحوّل إلى عادات عقلية وعاطفية.

● تنمية خيالات الأطفال؛ وذلك لأن الخيال زاد لنفوسهم شريطة ألا نبتعد عن مجال الواقع التصويري لعقليات الأطفال؛ ليظل هذا الأدب أداة شديدة التأثير في تنمية خيالات الأطفال التي يمكن أن نتعرّف من خلالها على حقائق الحياة؛ لينشأ الطفل فيها مستعداً لمواجهة الحقائق بروح واسعة الأفق.

● أن يعتاد الأطفال على التفكير لا التقليد، فليس المهم تعليم الأطفال، بل المهم هو تعليمهم كيف يتعلّمون، وكيف يفكّرون، كما نريد لهذا التفكير أن يكون إنشائياً لا تفكيراً عاطفياً أو تأثيريّاً، ونريده تفكيراً واسع الأفق لا أحادي النظرة.

● تنشئة الأطفال تنشئة علمية عن طريق إذكاء روح الفضول العلمي لديهم؛ وذلك لأن الطفل هو باحث صغير لكنه قليل التجربة، وهو في حاجة مستمرة لأن يعرف ما يحدث في بيئته وعالمه من ظواهر؛ إذ يشغل ذلك حيّزاً واسعاً من اهتمامه وتفكيره في عصر احتلّت فيه حصيلة العلم مكانة كبيرة في الحياة.

● أن يكون الأطفال مثقفين، لأن الثقافة ليست حكراً على الكبار، بل هي ليست حكراً على عمر من الأعمار دون غيره، كما أنها ليست ضرورة وطنية وقومية فقط، بل هي إحدى مكونات شخصية الطفل. ولا شك أن أدب الأطفال يفصح عن نواحٍ جمالية كثيرة في الحياة، ويعاون النشء الجديد على تذوّق الفن والجمالٍ، وما عشق الأطفال للأدب إلا صورة من غرامهم بالجمال. ثم إن الفن الذي يتعلّمه الطفل في سنوات عمره الأولى قد يعني الفرق بين فرد متجاوب وبين آخر يستمر فرداً غير متوازن، ويجد كثيراً من الصعاب في علاقاته مع بيئته رغم كل ما تعلّمه، وقد يكون الفن للطفل هو التوازن الضروري لعقليته وعواطفه كلما صادف ما يتعبه، والذي يلجأ إليه عندما لا تستطيع الكلمات أن تسعفه.

● وفي ظل العصر الذي يتسم بالتعقيد وسرعة التغيير، والارتباط الشديد بين المجتمعات رغم بعد المسافات، فإن على الأطفال أن يتعرّفوا على الخبرات الكثيرة التي يمر بها الفرد هنا أو هناك، والتي قد يمرّون هم بها في الغد، وأن يلمّوا بمطالب الحاضر، ويتسلّحوا بأدواته. ولا شك أن أدب الأطفال يتناول جوانب الحياة بشكل يثير عواطف الأطفال وانفعالاتهم أمام كثير من عادات الناس وأعمالهم وآمالهم، وما يعانون من مشكلات، وما يعتنقون من أفكار ومبادئ.

● تهيئة نفوس الأطفال لتكون سليمة قادرة على مواجهة ما يعترضها من أزمات، وممتلكة إحساساً إيجابياً بالنشاط والقوة الحيوية والسعادة على نحو يؤهّلهم للتفكير الإنشائي والأداء البنّاء.

• أن تتسع مدارك الأطفال وتزداد معارفهم ومعلوماتهم، وأن يظلّوا حيارى أمام كثير من الظواهر والمظاهر، لا سيما وأن من المعلوم أن ألوان أدب الأطفال تشتمل على كثير من المعلومات والمعارف والخبرات والمشكلات.

• توسعة ثروة الأطفال اللغوية، واستعمال لغتهم الفصحى السهلة التي يستطيع الطفل من خلالها أن يفهم الآخرين ويعبّر عما في نفسه.

• إجادة الإلقاء وإخراج الكلمات إخراجا سليماً، والتشبع بروح الشجاعة الأدبية، ومواجهة الآخرين دون قلق أو رهبة، وليس هذا فقط، بل لا بد من تربية أذواقهم الأدبية من خلال لغة ذات تراكيب ساحرة.

• تسلية الأطفال وإمتاعهم وإدخال الفرح إلى نفوسهم، وإبعاد كل ما يثير فيهم القلق والاكتئاب أو الانشغال العقيم.

• تنمية اعتزاز الأطفال بالوطن، وتهيئتهم للإسهام بمسؤولياتهم في الغد تجاهه، وتربيتهم تربية وطنية قومية، وتعريفهم بالقيم الإنسانية المشتركة.

• جعل الطفل في موقع الناقد الواقعي المنشئ، وذلك بإبعاده عن كل آثار النزعات الاتكالية واللامسؤولة واللامبالاة، والتقليد الأعمى، والكذب، والرياء، والخنوع، والتفكير الخرافي الهدّام.

إن هذه المعطيات وغيرها كثير تشكّل إطاراً عاماً لمضمون أدب الأطفال، ويمكن ضمن هذا الإطار العريض أن نقدّم للأطفال من خلال كتبهم ومجلاّتهم وبرامجهم الإذاعية والتلفزيونية وأفلامهم ومسارحهم ما يعزز هذه الاتجاهات، وما يدفعهم إلى التفكير الهادف والتخيّل الإنشائي، وما ينمّي قدراتهم المختلفة؛ ذلك أن أدب الأطفال هو أداة لبناء شخصية الطفل وإعداده للمستقبل؛ لذا يتحدد مضمونه في كل ما يبني عقل الطفل ونفسه وجسمه[1].

١- الهيتي – هادي نعمان، أدب الأطفال (فلسفته، فنون، ووسائطه)، مرجع سبق ذكره، ص ٨٨.

إذاً هناك مفهوم لأدب الطفولة لا يقع ضمن اتفاق، ويرتبط التغيير في نطاقاته ومجالاته وفق اعتبارات كثيرة ترتبط بالأدوات والتوظيفات التي يتحقق هذا الضرب من الأدب ضمن نطاقه. ولا شك أن أهميته – أي أدب الأطفال – يكتسبها من الوظائف التي يحقّقها، والأهداف التي يرنو إلى تحقيقها، والتطلّعات التي من شأن تحقيقها تأكيد الكثير من المكتسبات في نطاق استثمار هذا القطاع من قطاعات الأدب.

وبذلك، فإن مفهوم أدب الأطفال مفهوم يرتبط بكل مجتمع على حدة، ويرتسم وفق درجة وعي المجتمع ونضجه، ولا يدرك خصوصيته ولا يستوعب حيويته إلا من فقه آليات توظيفه، ومحاور تأطير الثقافة والمعرفة المرتبطة به وفق منهجيات تقوم على الاستقراء، وترتكز على الاستيعاب الكلي والقدرة على الربط بين التنظير والتطبيق.

وإذا كان أدب الأطفال متحقّقاً وفق هذا المفهوم، ومرتبطاً بهذه الوظائف التي تتصل بتكوين الطفل وبناء مرتكزات فكره وفق منظومة كفيلة بأن تحقّق له التنشئة التي تؤسس إنسانيته، وتحقق له استثمار قدراته، فإن تحقيق ذلك يستلزم استقراء الخلفية التاريخية في ارتباطها بالطفل عبر الحقب التاريخية لدى العديد من الحضارات الإنسانية، ومن ثم العمل على استقراء معطيات الأزمة التي ترتبط بهذا الضرب من الأدب في الواقع المعاصر، وكل ما يحقّق الخروج من عنق الزجاجة على نحو من شأنه أن يكفل صياغة جديدة لأدب الأطفال، وذلك وفق ما من شأنه بناء منظومة ذات خصوصية وإبداع في التخطيط لأدب الطفل المسلم، وهو ما نستهدفه من خلال المباحث اللاحقة من هذه الدراسة.



الفصل الثاني

الخلفية التاريخية لأدب الطفل

عند استقراء الخلفية التاريخية للأدب الموجّه للأطفال، فإن ذلك من شأنه أن يحقّق معرفة بالكثير من المعطيات التي من شأنها إبراز حقيقة نشأة هذا الأدب، وبعد الامتداد التي يتجذّر منه عبر الحقب التاريخية المختلفة، وما إذا كان هذا التجذّر تجذّراً يعكس تنامياً في جوانب هذا الضرب من الأدب، أم أن الأدب الذي انعكست صورته وحقيقته في الواقع المعاصر يختلف عن ذلك الأدب الذي ارتبط بالطفل في حضارات إنسانية بادت.

أولاً: حقيقة الامتداد.

بالرغم من أن أدب الأطفال لم يعرف هذه التسمية في قديم الزمان، إلا أن الباحثة انشراح المشرفي تجزم بأن (أدب الأطفال) قد اشتق معجمه وتشكيلاته اللغوية وإيقاعاته من العلاقة الفطرية بين الأمومة والطفولة، وأن ينبوع الفطرة كان مدَداً ثرياً بالعطاء اللغوي والمعنوي والموسيقي الذي يشكّل في النهاية أغنيات المهد، والتي لو احتفظت البشرية عبر دوراتها بأشكال منها لوجدنا تمام الشبه بينها في الماضي السحيق وما هي عليه الآن.

ثم تشير الباحثة إلى اعتبار أغنية المهد أول شكل أدبي في التراث الأدبي الإنساني يخاطب الطفولة، ويقصد إلى إحداث تناغم وإمتاع لدى طفل المهد، فمن الكلمات المنغمة، وهز المهد، واحتضان الطفل، وهدهدته، وترقيصه نشأت أشكال لغوية منغّمة يمكن اعتبارها الكلمة الأولى في تراث أدب الطفل، حيث يمكن أن نتصور أدب الطفل على أنه كلمات منغّمة قريبة من الأداء الصوتي للطفل، وليس المقصود منه إتاحة المعرفة، وإيجاد التوجيهات، بل المقصود منه المشاركة وجلب السرور والسعادة عند الاستنامة والملاعبة والترقيص وإزالة عوامل الوحشة.[1]

١- المشرفي – انشراح إبراهيم، أدب الطفل – مدخل للتربية الإبداعية، ط.١، ٢٠٠٥م، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، الإسكندرية – مصر، ص ١٢.

ويقرر عبد الرؤوف أبو السعد بأنه إذا كانت الفطرة قد غذّت الأمومة بالصياغات الفطرية لأدب الطفل، فإن التراث الأدبي الإنساني والعربي قد شكّل الروافد الأدبية التي غذّت الصياغات الفنية والتراث الأدبي في مجال أدب الطفل، لتمتد عبر مراحل في الزمان والمكان، وتتطور وتكثّف تراثاً إنسانياً أدبياً نلتقي به في إبداع المصري القديم، ومناطق البابليين، والآشوريين، والفينيقيين، والفارسيين، والأثينيين، والرومانيين، والصينيين، واليابانيين، والهنود، وقبائل إفريقيا، والعرب المنتشرة قبائلهم في الشمال والجنوب؛ ليتشكل هذا التراث بعد ذلك من الشعر الغنائي، وشعر الملاحم، والحكايات، والأساطير، والخرافات، والحِكم، والأمثال، والمواعظ، والنصائح، وأغاني المهد، والرعاة، والأفراح، والأحزان، والحروب، والانتصارات... إلخ[1].

وبما أن الكتابة كانت عملية يدوية صعبة، فمن المحتمل، كما يقرره أبو السعد، أنه لم تكن توجد مواد تكتب خصيصاً للأطفال، ولكن الأكيد أن الأطفال كانوا يستمتعون بالقصص التي تُروى لهم مثل: (ملحمة جلجامش وأشعار هيوميروس، وروايات الآلهة الفرعونية... إلخ). وقد كانت عبارة عن دروس في التاريخ، رغم أن أياً من تلك الأعمال لم تكتب للأطفال، ولكن لا بد وأن بعضها كان يعتبر مناسباً لتثقيف اليافعين[2].

وأيا ما كانت الخلفية التاريخية لأدب الأطفال، فإنه لا خلاف بأن كل ما وجه إلى الطفل في حقب تاريخية مختلفة، وضمن نطاق حضارات إنسانية متعددة يعد أدباً للأطفال، وقد انعكس من خلال هذا الامتداد تنوعاً في الفنون الإبداعية في هذا الأدب على نحو يتناغم مع معطيات الواقع

١- أبو السعد – عبد الرؤوف، الطفل وعالمه الأدبي، ١٩٩٤م، دار المعارف، الإسكندرية - مصر، ص ١٣.

٢- جين كارل، كتب الأطفال ومبدعوها، ت. صفاء روماني، سلسلة دراسات اجتماعية (١٥)، ١٩٩٤م، منشورات وزارة الثقافة، دمشق - سوريا، ص ١٥٠.

الذي وجد فيه، إلا أن نشأة أدب الأطفال كعمل فني هادف له نظم وأصول في المضمون والشكل لم يعرف إلا في عصرنا الحديث، مع العلم بأن هناك ملامح باهتة في أدب الطفولة قد عرفت منذ القدم، إلا أنها تميّزت بعفويتها وبابتعادها عن القوانين والضوابط[١].

يقول هادي نعمان الهيتي مقرراً حقيقة الامتداد لأدب الأطفال: « إذا أردنا بأدب الأطفال كل ما يقال للأطفال بقصد توجيههم فإنه قديم قدم التاريخ البشري حيث وجدت الطفولة، أما إذا كان المقصود ذلك الظرف الفني الذي يلتزم بضوابط نفسية واجتماعية وتربوية، ويستعين بوسائل الثقافة الحديثة في الوصول إلى الأطفال، فإنه في هذه الحالة ما يزال من أحدث الفنون الأدبية»[٢].

ومع عمومية هذا الرأي وانتشاره، فإن ثمة تأكيدا على أن هذا الفن ابتدأ منظماً ومضبوطاً بقواعد وأصول عند الغرب، وفي أوربا بشكل أخص، حيث ابتدأ الاهتمام بأدب الأطفال منذ عصر النهضة الأوربية بشكل ضعيف وضيّق، وتنامى مع نمو المجتمعات الأوروبية وتطوّرها بفعل الثورة الصناعية، ولكن هناك من يحاول إثبات أقدمية الشرق في الاهتمام بأدب الأطفال، وبالتحديد الجنس المسرحي من هذا الفن الذي عرفه الصينيون منذ القدم بمناسبات أعياد دينية.[٣]، حيث بلغ خيال الطفل عندهم درجة كبيرة من التقدّم منذ ألف عام قبل الميلاد، وحين نقرأ عن هذا اللون من التسلية، فإننا نجد أن الأطفال كانوا يشهدون هذه الاحتفالات ويقومون بدور فيها[٤].

١- ذكاء الحر، الطفل العربي وثقافة المجتمع – عيّنات من قصص الأطفال، ط.١، ١٩٨٤م، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ص ٣٣.

٢- الهيتي – هادي نعمان، أدب الأطفال – (فلسفته، فنونه، ووسائله)، كتاب جديد عرضه محفوظ داود، العدد الثاني، ١٩٧٩م، مجلة البحوث، القاهرة – مصر، ص ١٥٥.

٣- ذكاء الحر، الطفل العربي وثقافة المجتمع – عينات من قصص الأطفال، مرجع سبق ذكره، ص ٣٣.

٤- وتفريد وارد، مسرح الأطفال، ت. الجوهري – محمد شاهين، ١٩٩٦م، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، القاهرة – مصر، ص ١٠.

وأرى أنه إذا كان أدب الأطفال الذي ساد في الحضارات الإنسانية القديمة لا يجاري ما أصبح عليه أدب الأطفال في ظل الواقع المعاصر، فإن ذلك يرجع بداهة إلى كونه – أي أدب الأطفال – انعكاساً للسائد في المجتمع فكراً وثقافة وحداثة. وإذا كانت الصين قد امتلكت حضارتها القديمة أدباً راقياً يقدّم للطفل، فإن التساؤل المثار... هل هناك امتداد يمكن أن يرتبط بالحضارات الإنسانية القديمة ومن شأنه أن يعكس تنوّعاً في الفنون الإبداعية في أدب الأطفال؟. وهل التراث الأدبي الإسلامي زاخر بالعديد من الفنون الإبداعية على نحو من شأنه أن يقرر الخصوصية والتميّز في أدب الأطفال ؟

ثانياً: معطيات الخلفية التاريخية لأدب الأطفال في الحضارات الإنسانية القديمة.

لما كان أدب الطفل مرتبطاً بوجود الطفل وعلاقته بالمجتمع، فإن الحضارات الإنسانية القديمة عكست معطيات كثيرة قررت خلفية تاريخية جديرة بالاستقراء لما كان عليه أدب الأطفال في الحضارات الإنسانية القديمة، سواء في الحضارة الفرعونية أو اليونانية أو الرومانية أو حتى في المجتمع العربي في العصر الجاهلي، حيث اختلفت درجة الاهتمام والتنوّع في هذا الضرب من الأدب باعتبار ما كانت عليه مدنية المجتمع في تلك الحقب.

● في الحضارة الفرعونية: في المجتمع الفرعوني في مصر القديمة كان الاهتمام بالطفل من ناحيتين (التعليمية والعاطفية) في مراحل مختلفة من حياته، حيث كان الأطفال المصريون القدماء – شأن كل الأطفال – مغرمين بالقصص التي كان غالبها خرافياً. وقد أكد ذلك ما عثر عليه المنقّبون من آثار مصر القديمة في القرن الثاني من القرن التاسع عشر، وذلك عندما حصلوا على أول تسجيل في تاريخ البشرية لأدب الأطفال ولحياة الطفولة ومراحل نموها، حيث يرجع هذا التسجيل إلى ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد،

وقد وجد مكتوباً على أوراق البردي، ومصوّراً على جدران المعابد والقصور والقبور، حيث كان تعلّق الطفل بالبيئة والثقافة التي كانت سائدة آنذاك عندما كانت بيئة تشيع فيها الخرافة، وقد دوّنت القصص بأسمى أسلوب قصصي، مما يدل على أنها مرّت بمراحل تطوّرية حتى وصلت إلى النضج الفني من الحديث والحكاية، ففيها أسلوب التكرار، وحسن الانتقال بين الأحداث، واستخدام ذلك كله استخداماً مؤثراً في الأطفال، والعثور على هذه الحكايات، وعلى عدد كبير من قصص الحيوان عند قدماء المصريين، مما يدل على الاهتمام الكبير الذي كان يلقاه أدب الأطفال عندهم من ناحية، كما يدل على الثروة الضخمة من الحكايات التي كان يستمتع بها الأطفال المصريين القدماء[1]. ومما يقرر جانب النضج الذي بلغه أدب الأطفال في الحضارة الفرعونية: أنَّ (ولت ديزني) السينمائي الشهير قد استلهم فكرته عن الكارتون وشخصياته من زيارة قام بها لمقابر المصريين القدماء، ورأى فيها قصص الأطفال المصوّرة، فكانت وحيه وإلهامه[2].

لقد ارتبط أدب الأطفال في الحضارات القديمة وحتى يومنا هذا بالتربية ارتباطاً وثيقاً، وانقسم الأدب عند القدماء المصريين تحقيقاً لذلك إلى قسمين: أدب نثري تعليمي تهذيبي يتضمّن الحكم والأمثال والمواعظ وبعض القصص المستمدة من التراث، وشعر تعليمي أو شعر أناشيد، وقد أجمع هذا الأدب على الدعوة إلى الخير والسلوك السوي والإخلاص في عبادة الإله، وبر الوالدين، وقراءة الأدب بألوانه المختلفة.

ويرى أحمد نجيب في كتابه (القصة في أدب الأطفال) – كما نقلت ذلك عنه إيمان البقاعي - بأن قصة (البحار الغريق) المصرية تشبه قصة (السندباد البحري)، كما تشبه قصة (روبنسون كروزو) الإنجليزية وتسبقهما بآلاف السنين، كما أن قصة (تحوتي) – وهو قائد من قواد

١- المشرفي – انشراح إبراهيم، أدب الطفل – مدخل للتربية الإبداعية، مرجع سبق ذكره، ص ١٣.

٢- الحديدي – علي، الأدب وبناء الإنسان، ١٩٧٣م، الجامعة الليبية، طرابلس – ليبيا، ص ٥٠.

تحتمس الثالث – تشبه قصة (علي بابا) وتسبقها بآلاف السنين أيضاً، كذلك قصة (إيزيس واوزيس) و(الأميرة الصغيرة) و(انتصار حوريس) و(الفلاح الفصيح) وغيرها.[1]

● في الحضارة المسيحية وامتداد الحضارة الغربية المعاصرة: بعد أن زالت الإمبراطورية الرومانية في الغرب وحلّت الحضارة المسيحية بالتدرّج مكان النماذج الوثنية القديمة، تغيّر التعليم والمعطيات التي يسمعها الأطفال، فاحتلت قصص الإنجيل والقديسين مكان قصص الآلهة القديمة. وقد كان السائد في تلك الحضارة توظيف أدب الأطفال من أجل تعميق ارتباط الأطفال بالسلوك والأخـلاق، وقد تنوّعت الموضوعات بعد ذلك لتتناول مختلف الأمور الحياتية المتعلّقة بذلك العصر، بالإضافة إلى الموضوعات المتعلّقة بالكتاب المقدس، وقد كانت تُكْتَبُ باللاتينية آنذاك.

إلا أن ما يتضح من خلال استقراء امتداد الحضارة الغربية المعاصرة في أدب الطفل أن ثمة تحوّلاً لمعظم الناس من الثقافة التي كان محورها الكنيسة بالنسبة للمثقفين إلى حياة أكثر رحابة وأوسع أفقاً، حيث كان توظيف أدب الأطفال من أجل النهوض بالتعليم، كما أن هناك كتاب القصة الذين تجاوزوا مجرّد التعليم وارتقوا إلى مستوى الأدب، بالإضافة إلى ظهور الكتب المسلّية والكتب التوجيهية، وبعض الكتب التي كانت تتناول قصصاً يستمتع بها الأطفال.

وفي القرن السادس عشر الميلادي، توجه معلّمو السلوك والأخلاق والقيم الروحية إلى الأطفال في إنجلترا أولاً، ومن ثم في المستعمرات الجديدة في أمريكا، حيث حلّ أصحاب المذهب الصفوي البروتستانتي الذي كان ينظر إلى أن الأطفال مخلوقات فاسقة تحتاج إلى كبح متواصل ودروس لا نهاية

١– البقاعي – إيمان، المتقن في أدب الأطفال والناشئة (لطلاب التربية ودور المعلمين)، دار الراتب الجامعية، بيروت – لبنان، ص ٣٦.

لها في الموعظة، كما جنح أصحاب هذا المذهب إلى منع القصائد الروائية وقصص الأطفال؛ ليكون معظم أطفالهم من النوع الذي تنقصه الحيوية. وقد استمر طغيان تلك الروحانية حتى القرن الثامن عشر، حيث بدأت الكتب تؤلّف خصيصاً للأطفال منذ ذلك الوقت، مع إضافة الصور التي تجعلها أكثر جاذبية، وبدأ المؤلّفون يستقون القصص من الحياة اليومية العملية، مع بقاء الصبغة التعليمية والأخلاقية الطاغية، ولكن مع نهاية القرن الثامن عشر، عادت إلى الظهور الكتب التعليمية التي تخلو من الحيوية والمتعة.

في بداية القرن التاسع عشر بدأت كتب الأطفال تتناسب معهم بشكل أكبر، ولكنها لم تكن بالمستوى المطلوب على الرغم من العديد من المحاولات، إلا أنه بحلول منتصف القرن التاسع عشر، وصل مستوى أدب الأطفال إلى حالة جيّدة تماماً، حيث إنه على الرغم من وجود النزعة الوعظية في جميع الكتب، إلا أن القصص كانت حقيقية، وكانت فيها أحداث وشخصيات وخبرات حيوية معقولة ومقبولة لدى الأطفال، وذلك ضمن الإطار الذي كانت تقدّم فيه.

وفي الوقت ذاته بدأ الشعر يشق طريقه نحو عالم الأطفال، وظهر عدد لا بأس به من الشعراء الذي نظموا للأطفال، وانتشرت المجلات التي كانت تنشر القصص والمقالات التي يكتبها مؤلفون معاصرون ومشهورون، وكان فيها رسائل من أطفال من الممكن أن يكونوا كتّاب الجيل التالي... لقد كانت حقبة أصبحت فيها القصص الخيالية وكتب الفكاهة والقصص المدرسية وروايات المغامرات وقصص الماضي وكل أنواع الكتب الممتعة للأطفال شيئاً هاماً.

وفي بداية القرن العشرين، لم يكن هناك تغيير يذكر، ولكن بحلول العشرينات بدأ تفتّح كتب الأطفال، وأصبح وجود المحررين من الأمور الثابتة في العديد من دور النشر في الولايات المتحدة، كما اكتسبت الكتب المصوّرة

أهمية متزايدة في العشرينات من القرن الماضي.

واليوم، بلغت الإنسانية مرحلة أضحت فيها كتب الأطفال في الولايات المتحدة وغيرها من بلدان العالم تُنشر بكميّات أكبر مما نشر في تاريخ الإنسان بأكمله، وقد قطعنا شوطاً في كمية الكتب وفي نوعيتها، حيث يمكن أن تكون كتب الأطفال اليوم أدباً قصصياً أو غير قصصي، كما يمكن التعبير عن الحقائق المتعلّقة بوضع الإنسان في كتاب للأطفال بكتابة وجيزة وإبداعيّة، وبأفكار حيويّة واضحة، وبتجارب غنيّة وصادقة، وبمواقف تبيّن الحقيقة دون إعطاء مواعظ[1].

ولعل ما يمكن أن نستخلصه من خلال عرض مجمل للحقائق التاريخية لأدب الطفل في الحضارة المسيحية، وما انبنى عليه من امتداد للحضارة الغربية الذي تقرره معطيات واقع المجتمع ومستوى نضجه، أن التوظيف الإيجابي هو الكفيل بأن يغرس اهتماماً إبداعياً بأدب الطفل؛ وذلك باعتبار أن تلك الإيجابية في التوظيف تتحقق من خلال نظرة تطلّعية في وجدان المجتمع للارتقاء بثقافة الطفل وفنّه وإبداعه باعتبارها عناصر تمثّل محور مستقبل التنمية والتحديث في المجتمع، وأن هذا المستوى لا يمكن أن تحققه إلا المجتمعات الناضجة الواعية.

- في التراث العربي القديم: يستلزم الإبداع في أدب الطفل بلوغ الحضارة التي يسود فيها جانب من النضج المؤهّل لها لإدراك حيوية تأثير أدب الطفل في صقل شخصيته وصناعة حقيقته، وكأنه يمكننا الربط بين نضج مجتمع ما بجانب النضج في الأدب الذي يقدّمه للطفل.

لقد حاول الدارسون العرب تعليل غياب الطفل عن التراث العربي القديم، وأوردوا الحجّة تلو الحجة على أن الظروف العربية لم تكن مؤهّلة لظهور أدب الأطفال، سواء أكانت هذه الظروف ماثلة في نشأة الأدب العربي نشأة

١- جين كارل، كتب الأطفال ومبدعوها، ت. صفاء روماني، مرجع سبق ذكره، ص ١٥٠.

سماعية، أم كانت ماثلة في التزام الأديب العربي بالغيرية أو الذاتية.

إن التوظيفات التي وظّف الأدب من خلالها في المجتمع العربي الجاهلي كانت تتمثل في الرثاء والشفقة أو غير ذلك، إلا أنه لم يكن يكتب للطفل أدب خاص به.. يمكن أن يكون هناك شعر يكتب عن الأطفال لكنه لم يكتب لهم. أما النثر العربي فقد ضمّ حكايات خرافية وأسطورية وفكاهية وتعليميّة، وهناك دلائل كثيرة على أن الأطفال كانوا يقبلون على سماع هذه الحكايات ويتأثرون بها.

لم يكن هناك أدب للأطفال في التراث العربي القديم؛ لأن الطفل نفسه لم يكن موجوداً خارج نطاق الراشد المصغّر، وهكذا كان الحال مع الأدب الأوربي في تلك الحقبة... إن أدب الأطفال جديد في العالم كلّه، وإن هويته ما زالت ضعيفة الملامح في أركان الدنيا كلها، وإذا كانت البدايات تختلف زمنياً بين أوروبا والعرب فإنه لا تختلف أدبياً[1].

وبذلك، فإن الملاحظ أن هناك اختلافا حول امتداد أدب الأطفال، لا سيما في ظل هويته التي ما زالت غائمة الملامح في أركان الدنيا كلها[2]، إلا أنه لا يمكن القول إن أدب الأطفال الذي ينعت بهذا الوصف بمجرد توجيهه للأطفال إلا إذا كان مرتبطاً بالمجتمعات الإنسانية القديمة وفق مقدار نضجها ووعيها. أما أدب الأطفال الذي نشهد توظيفه في ظل الواقع المعاصر، فإنه يشهد نقلة نوعية باعتبار ما ارتبط به من معطيات العصر الذي وجد فيه، فهو بذلك ليس حديث النشأة في ارتباطه بالواقع المعاصر، بل له امتداد متجذّر، وتم توظيفه من خلال حضارات بادت قامت بتدوينه أم لم تقم، وذلك على نحو تناغم مع ذلك الواقع الذي ترعرع ونشأ فيه فكان انعكاساً لمعطياته.

١- المشرفي – انشراح إبراهيم، أدب الطفل – مدخل للتربية الإبداعية، مرجع سبق ذكره، ص ١٣.

٢- الفيصل – سمر روحي، ثقافة الطفل العربي، ١٩٨٧م، منشورات اتحاد الكتاب العرب، مطبعة اتحاد الكتاب العرب، دمشق – سوريا، ص ١٢١.

وعليه، فإنه لا يمكن إثبات أو نفي وجود أدب موجّه للأطفال بناء على استقراء للمكتوب والمدوّن من خلال مختلف الحقب التاريخية، فهناك مجتمعات لم تكن الكتابة شائعة فيها كالمجتمع العربي الجاهلي، ولا يمكن بناء على ذلك نفي أو إثبات وجود أدب الأطفال فيها، أما المجتمعات القديمة التي انتشرت فيها الكتابة كالمجتمع الفرعوني فإنها مجتمعات دوّنت أدب الأطفال الذي كان يوظّف لتوجيه الطفل وتعليمه وصقل شخصيته. وبناء على ذلك فإن أدب الأطفال مرتبط النشأة بالمجتمعات الإنسانية القديمة، خاصة تلك المجتمعات التي ارتقت فيها معطيات المدنية، وهو يرتبط تجدّداً وتحديثاً وفق النضج الذي يصل إليه المجتمع في نظرته لهذا الضرب من الأدب.

ومن جانب آخر، فإنه لا يمكن القول إن الطفرة التي حققتها أوروبا في أدب الأطفال من حيث توظيفه لا ترتبط البتة بالخلفية التاريخية لهذا الضرب من الأدب، بل إن إبداع الحضارات القديمة في ذلك كان له تأثير في الصناعة الراقية التي عليها أدب الطفل في أوروبا اليوم وفق ما تقرر من دلالات سبقت الإشارة إليها، وهو ما يؤكد أن هناك امتداداً يرتبط بالحضارات الإنسانية القديمة عكس تنوعاً في الفنون الإبداعية لأدب الأطفال، والذي كان له تأثيره حتى على أدب الأطفال السائد في الواقع المعاصر.

وتأكيداً لما استنتجته، يصرّح الحديدي في حديثه عن عدم تسجيل أدب الصغار عند كثير من الحضارات القديمة قائلاً: «والظاهرة الجديرة بالتسجيل إن أدب الأطفال، على الرغم من أنه قديم قدم أدب الكبار، إلا أنه لم يحظ بالتدوين أو الدراسة أو الاهتمام كما حظي أدب الكبار، فقد اهتمت أكثر الحضارات القديمة بتسجيل تراثها الفني والأدبي، إلا أنها أسقطت في حسبانها أدب الأطفال، اللهم إلا في النادر القليل».

والسبب في ذلك يعود إلى أنه «لم يكن يتعدى حدود جدران المنازل، حيث تحكيه الأمهات أو الجواري والمربيات للأطفال، أو لعل السبب في إسقاطه من الحسبان أن أكثره كان عالة على قصص الكبار يقتبس منها ما يناسب الصغار، فاعتبر تبسيطاً لهذه القصص، وقد يكون السبب أنه لم يكن له فنانون متخصّصون يروونه ويقومون على أمره، ينسجون حكاياته بحكم الموهبة والصنعة، أو لأن القدماء استهانوا به وعدّوه تسلية لمرحلة الطفولة التي لم يكونوا يهتمون بها»[1].

ويرى الحديدي أن هذه الأسباب وغيرها كانت العائق وراء بروز أدب الأطفال حتى مطلع القرن الثامن عشر الميلادي، وهو ما يعني عدم صحة القول بعدم وجود هذا الضرب من الأدب لعدم تدوينه، لا سيما وأنه لا يوجد أحد من القدماء – حتى العرب – سجل أدب الأطفال سوى المصريين القدماء[2].

إذاً، هناك أسباب كثيرة ترتبط بحقيقة الخلفية التاريخية لأدب الأطفال، إلا أنه من الممكن القول: إن أدب الأطفال جديد على الآداب العالمية كلها، حيث لم يعتن به أحد وفق الصيغ الحاضرة إلا في العصر الحديث، كما زاد الاهتمام به في العقود الأخيرة زيادة واسعة بعد أن تنامت الدراسات عن الأطفال في مختلف التخصصات، وظهر علم جديد هو: علم نفس الطفل الذي أثر كثيراً في أدب الطفل، إضافة إلى ظهور نظريات التربية الحديثة[3].

١- الحديدي – علي، في أدب الأطفال، ط.٣، ١٩٨٢م، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة – مصر، ص ٣٧.

٢- المرجع السابق، ص ٤٥.

٣- الهيتي – هادي نعمان، أدب الأطفال (فلسفته، فنون، ووسائطه)، مرجع سبق ذكره، ص ٨٨.

ثالثاً: معطيات الخلفية التاريخية لأدب الأطفال في الحضارة الإسلامية

في ظل غياب مقوّمات التحفيز لأدب الأطفال وفق ما قرره الاستقراء في العصر العربي الجاهلي، فإن من الضرورة بمكان استقراء معطيات الخلفية التاريخية لأدب الأطفال في الحضارة الإسلامية باعتبارها حضارة قامت على أنقاض حضارة العرب في عصرهم الجاهلي، حيث عملت الحضارة الإسلامية على صناعة الامتداد في جميع المقوّمات، بل وفي العديد من الجوانب التي أبرزت فيها خصوصية واضحة لصناعة حضارة احتفظت بجانب من الاستقلالية والخصوصية والتفرّد.

يذكر عبد الرزاق الحاج عبد الرحيم بعد استقراء لأدبيات الطفولة في المنهج النبوي بأن هذه الأدبيات قد انطلقت منهجيتها من التأسيس الإيماني، والترسيخ العقَدي من خلال أساليب مؤثّرة في قلب الطفل وعقله، ومن خلال طرائق التعويد والتدريب، بالإضافة إلى التركيز على الجوانب النفسية من حيث صحبة الأطفال ومعاملتهم المعاملة اللائقة.

ومن جانب آخر، فقد قسّم أدبيات الطفولة ضمن هذا النطاق إلى أدبيات موجِّهة تمثلت في التأليف، وأدبيات موجَّهة تمثلت في الإبداع، فأما جانب التأليف فيقرر من خلاله بأن تسجيل أدبيات الطفولة في التراث الإسلامي أمرٌ واقع، وذلك في ظل أنه يكاد يُجمع عدد من الباحثين العرب على أن أدب الطفولة في البلاد العربية ناشئ يحبو، وأنه نشأ تقليداً لما ظهر عند غيرنا وبخاصة أمم الغرب، وأنه كانت احتفالية الغرب بأدب الأطفال هي الحافز لدى كتّابنا لخوض التجربة.

وإذا كان التسجيل لأدب الأطفال قد انفردت به الحضارة المصرية القديمة، فإن العناية في التراث الإسلامي بأدب الأطفال حقيقة واقعة وإن كانت دون مستوى الطموح، حيث ظل كتبة التراث ومسّجلوه وحافظوه يرعون هذا الأدب ويؤكّدون عليه، كما كانوا لا ينظرون إليه نظرة دونية،

وإنما يصدرونه عن منهج، ويعبّرون عن اقتناع بأن العمل لصغار اليوم الذين سيصبحون كبار الغد هو أساس من أسس هذا المنهج الذي قررته تعاليم الدين.

إن الدليل على عدم خلو التراثيات الإسلامية مما يؤكد على العناية بالأدب الموجّه للطفل أن الأمر وصل بقدماء السلف إلى حد تسجيل مآثر الصغار، وإيراد مشهورهم، وتوثيق أخبارهم، والتندّر بحكاياتهم، وهذا ما يؤكد عليه ابن ظفر الصقلي عندما انتخب كتابه (أنباء نجباء الأبناء) من خلال ركام ضخم من الأخبار والآثار عن الصغار، إذ اعتمد الاختصار في كتابه، ولو أراد الإطالة – ويا ليته فعل – لوجد المادة الكثيرة التي تعينه على ملء الكتب الضخمة والأسفار العديدة، وفي ذلك يقول: «ولو أطلقت عنان اللسان في حلبة هذا الميدان لملأت في ملحه أسفاراً»[1].

إن هذه الأسفار الضخمة التي يتحدث عنها ابن ظفر، والتي سجّلها من جاء قبله لعلها لا زالت مدفونة في بطون المخطوطات، أو أنها أفلتت من بين أصابع الزمن بفعل العبث الإنساني والحقد الحضاري الذي أتلف ما لا يحصى من صفحات التراث الإسلامي والحضارة البانية. وعلى الرغم من هذا الدليل الأكيد على وجود توثيق وعناية لأدب الأطفال في التراثيات الإسلامية، إلا أن هناك من يقرر بأن أدب الصغار لم يحظ بالاهتمام في التراث الإسلامي، و«لم يسترع انتباه المدوّنين من أدب الأطفال إلا الأغنيات التي كان الكبار يرقصون بها الصغار»[2].

يقول الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن أبي محمد بن ظفر الصقلي عن سبب تأليفه لكتابه (أنباء نجباء الأبناء): «فهذا كتاب أودعته من أنباء نجباء الأبناء ما هو كشررة من ضرام، بل قطرة من رهام؛ لأني قصدت

١- الصقلي – ابن ظفر، أنباء نجباء الأبناء، ١٩٨٠م، دار الآفاق، بيروت – لبنان، ص ٥.

٢- الحديدي – علي، في أدب الأطفال، مرجع سبق ذكره، ص ٢٢٨.

به تلقيح همّة غلام، وتنقيح فطنة كهام»، فالهدف التربوي واضح رجلي في إيراد هذه الأخبار والقصد منها.

وهناك كتب في التراث الإسلامي أوردت حكايات عن الأطفال كبعض كتب الأدب مثل: (العقد الفريد، بهجة المجالس، محاضرات الأدباء، الأمالي، عيون الأخبار، زهر الآداب، جمع الجواهر، الكامل، المستظرف، ثمار القلوب، التذكرة الحمدونية والمنتخب منها، والمختار من نوادر الأشعار، أو الكتب المختصة كالأذكياء، وبلاغات النساء، والمحاسن والمساوئ).

وإلى جانب ذلك، هناك بعض المؤلفات التي تمثّل كتب الثقافة، أو النوادر المجموعة والمنتخبات التي أفردت بعض صفحاتها أو فصول منها لذكر فضائل الأطفال ونوادرهم وأخبارهم، وأجوبتهم المسكتة، وحكاياتهم الممتعة، وما امتازوا به من شجاعة ونباهة، ومن ذلك كتاب (المختار من نوادر الأخبار)، وهو كتاب مجهول المؤلف ومنسوب خطأً لمحمد بن أحمد المقري، وفيه فصل عن نجابة الأولاد، وهو مأخوذ بأكمله من كتاب (أنباء نجابة الأبناء). كما أن هناك كتاب (التحفة الظريفة من كل نكتة لطيفة) لحسن بن عثمان الحكيم، وهو مخطوط بالمكتبة الظاهرية تحت رقم (٥٧٨٢) أدب، والذي خص الباب الثاني عشر منه لنوادر الصبيان. أما كتاب (في التاريخ والحكايات) - وهو مجهول المؤلف أيضاً - فهو مخطوط تحت رقم (٦٩٩٩) أدب، والذي تناول فيه فضائل الأولاد.

وهناك مؤلّفات توجّهت لنصح الصغار مثل كتاب (نصائح الصغار) لجار اللّه محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، وهو مخطوط بالظاهرية تحت رقم (٦٧٤٠) أدب. كما أن بعضها توجّه فيه إلى المربين وما يحتاجون إليه في تأديب الأطفال من حسن المعاملة والحزم، والعلوم التي يؤخذ بها الأطفال، وأوقات الدرس وتخيّرها، وحالات الأطفال النفسية والصحية، إلى غير ذلك من التوجيهات التربوية، هذا بالإضافة إلى أن هناك جوانب

كثيرة أخرى تم تحريرها والعناية بها كالقصة والأمثال والوصايا.[1]

وإذا كان تعريف أدب الأطفال يركّز على أنه مجموع الإنتاجات الأدبية المقدّمة للأطفال، والتي تراعي خصوصياتهم وحاجاتهم ومستويات نموهم، فإن أدبيات الطفولة بإبداع الصغار قد سجّلت في التراث الإسلامي، ولم يترفّع عنها الكتاب بل سجّلوها وعرضوها في كتبهم القيّمة إيماناً منهم بأن الأدب إذا امتلك خواصه الفنية فهو أدب، سواء صدر عن صغير أو كبير.

وقد أوردت لنا كتب التراث الإسلامي صوراً شتى من إبداعات الأطفال (الشعرية، والخطابية، والنقدية، وبعض مواقف البديهة، والإجابات المسكتة، والنوادر الطريفة)، تقتدي بالأنماط السردية والأسلوبية للكبار، وذلك أول الغيث وبداية الطريق، حيث أن التقليد هو النغمة الأولى في الإيقاع، بل هو الخطوة الصحيحة الأولى في درب التعلّم والتدرب [2].

إذاً، هناك تقصير وقعنا فيه إزاء تراثنا وأدبنا، وإلى الأحكام المسبقة التي هيمنت على كثير من المؤلّفات والدراسات الخاصة بأدب الأطفال نتيجة التقليد أو الانخراط في الولاءات الحزبية والفكرية الوافدة، وقد جعلنا هذا التقصير نكسل عن النظر في هذه الكنوز الثمينة والآثار الكثيرة التي ضمّت ما يصلح لأدب الأطفال لجمعه ونشره، أو لترتيبه وإعادة صياغته من جديد ليتلاءم مع هذا العصر، وليقدّم بالصورة المناسبة للأطفال في الواقع المعاصر.[3]

١- عبد الرزاق الحاج عبد الرحيم حسن، أدبيات الطفولة في التراث الإسلامي، قضايا الطفل من منظور إسلامي، أعمال الندوة الدولية التي عقدتها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة – إيسسكو بالتعاون مع جمعية الدعوة الإسلامية العالمية والمعهد العالمي للفكر الإسلامي في الرباط في الفترة من ٢٩ أكتوبر إلى ١ نوفمبر ٢٠٠٢م، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة– إيسسكو، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م، الرباط – المغرب، ص ٩٩.

٢- المرجع السابق، ص ١٤٥.

٣- بريغيش – محمد حسن، أدب الأطفال (أهدافه وسماته)، ط.٢، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ص ٦١.

وبذلك فإن أدبيات الأطفال المسجّلة في التراث الإسلامي كنز يحتاج إلى استقراء وتمحيص جدير بالصياغة الإسلامية برؤية عصرية، وذلك بدلاً من التخبّط السائد في ظل ما يعيشه أدب الأطفال في الواقع المعاصر، وذلك ما بين لاهث خلف أدبيات الحضارة الغربية في قوالبها التي توظّف من خلالها، مع الزعم بإدخال الصبغة الملائمة عليها للمجتمعات الإسلامية، وما بين متخبّط يسعى إلى ابتكار خصوصية لإبداعه في الأدب دون الاستقراء للخلفية التاريخية المتجذّرة في التراث الإسلامي لأدبيات الطفولة، وفي رأيي فإن هذين المحورين يعدّان أبرز تداعيات الأزمة التي سنعرض لتفاصيلها ضمن الفصل القادم.



الفصل الثالث

أزمة أدب الطفل المسلم في الواقع المعاصر (العوامل، التداعيات، الأبعاد)

تتردد في الدراسات العربية أسماء محددة يُقال إنها رائدة أدب الأطفال في العصر الحديث، منها عثمان جلال وأحمد شوقي وكامل الكيلاني، وحين يتوغّل الدارسون في عصر النهضة العربي يذكرون رفاعة الطهطاوي على أنه أول من أمر بنقل أدب الأطفال إلى اللغة العربية. وفي المحصّلة النهائية يخلص الدارسون إلى أن هؤلاء الرواد اطلعوا على أدب الأطفال في الآداب الأجنبية فأعجبوا به ورأوه صالحاً للأطفال العرب فترجموه، ثم أخذوا يحاكونه وينسجون على منواله، وذلك هو ما قام به عثمان جلال عندما ترجم (حكايات أيسوب) و(لافونتين) شعراً في كتابه (العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ)، وأحمد شوقي حين ترجم شعراً (حكايات لافونتين) في الجزء الرابع من ديوانه (الشوقيات)، وكامل الكيلاني حين ترجم نثراً عدداً كبيراً من القصص.

يريد الدارسون القول إن أدب الأطفال وفد إلينا من الغرب كما وفدت الآلة والعلوم التطبيقية، وما فعله هؤلاء الأدباء لم يكن أكثر من نقل هذا الأدب إلى العربية شعراً ونثراً. ثم إن تاريخ ظهور أدب الأطفال في التراث العربي الحديث على هذا النحو يحتاج إلى تعديل جذري، وقبل هذا التعديل كان المرء يتمنى أن يشير الدارسون العرب إلى أن (لافونتين) نفسه قرأ (كليلة ودمنة) بعد أن ترجمت من الفارسية إلى الفرنسية، إضافة إلى أنه لم يكتب حكاياته الشعرية للأطفال وإنما كتبها للكبار، فنقلها شوقي دون أن يلتفت إلى ذلك، ودون أن يعير خطرها ومجافاتها الروح العربية أي اهتمام؛ ولهذا السبب لم تكن غالبية حكايات شوقي للأطفال إنما كانت عنهم[1].

١- الحديدي – علي، في أدب الأطفال، مرجع سبق ذكره، ص ٢٤٦.

أولاً: العوامل الكامنة وراء ظهور أدب الأطفال في التراث العربي الحديث

تتمثل دراسة أدب الأطفال في التراث العربي الحديث من خلال الإشارة إلى العوامل الكامنة وراء ظهور أدب الأطفال في النصف الأول من القرن العشرين، فبروز الطفل في الساحة الثقافية العالمية يتمثل بانفصال علم نفس الطفل عن علم النفس الذي حدده الدارسون بسنة ١٨٧٩م، حيث كان هذا الانفصال قد تم في ثلاثينات القرن العشرين كما تشير بعض المصادر. وقد مهّد انفصال هذا العلم إلى بروز الطفل في الساحة الثقافية، ومطالبته الأدباء بزاد ثقافي يوازي ما يقدّمونه للكبار، وفي هذه الفترة لم يكن العرب بعيدين عن العالم، إذ كانت يقظتهم من سباتهم الطويل في بدايات حماستها؛ ولذلك راحوا يحرصون على تجديد أركان مجتمعهم، فالتفتوا إلى الطفل كما التفت الغربيون إليه، وإن كانوا – آنذاك – أقل معرفة به منهم.

ومن جانب ثانٍ، فإن انتشار التعليم يعد أبرز العوامل في نشوء أدب الأطفال في التراث العربي الحديث، فقد ظهر الطفل في الساحة الثقافية من خلال التعليم، وكانت الحاجات المدرسية أكثر إلحاحاً من أن تنتظر تطور أدب الأطفال؛ لهذا السبب بدأ المربّون العرب يسدّون الثغرة في الكتابة للأطفال، فكانوا رواداً لهذا الأدب، منهم في سوريا وفلسطين: (رضا صافي، نصرت سعيد وعبد الكريم الحيدري)، وفي مصر: (رفاعة الطهطاوي، علي فكري، أمين خيرت الغندور وغيرهم)، سواء أكانوا في حقل التربية أم خارجه، وقد كانت لهم محاولاتهم الجادّة لتلبية حاجات الطفل فيما يعتقدونه صواباً في حقلي الشعر والنثر.

ومن جانب ثالث، فإن هناك مثاقفة بين أكثر من عامل من عوامل ظهور أدب الأطفال في التراث العربي الحديث، والدليل على ذلك أن عدداً غير قليل من الرواد لم يعرف اللغة الأجنبية ولم يقرأ أدب الأطفال إلا مترجماً،

وما استفاضة شهرة أحمد شوقي إلا وجه من وجوه شهرته السابقة في عالم الشعر، ومكانته الرسمية في مصر، في حين يستحق رجل مثل رفاعة الطهطاوي تقديراً أعلى بكثير مما ناله؛ لأنه عجّل بظهور أدب الأطفال من خلال عمله في حقل الترجمة إلى اللغة العربية، وإشرافه على صحيفة (روضة المدارس)، بل إنه ترجم عن اللغة الإنجليزية قصصاً، فكان عمله أول عناية شبه رسمية بأدب الأطفال في الوطن العربي؛ وذلك لأنه كان مسؤولاً عن التعليم في مصر.

وبذلك فإن أدب الطفل في التراث العربي الحديث لم يبدأ بالترجمة ومن ثم التأليف، وإنما بدأ بتعرّف الطفل العربي والتأليف له ضمن الاهتمام التربوي به، وكانت الترجمة رافداً صغيراً، بل إنها كانت تلخيصاً وإعداداً قبل أن تكون ترجمة، كما كانت صالحة للفتيان أكثر من صلاحيتها للأطفال.

ومن جانب رابع، فإن من العوامل الكامنة في ظهور أدب الأطفال في التراث العربي الحديث أن سمات أدب الأطفال في هذا التراث كانت تعود في الغالب الأعم إلى المؤثرات الخارجية، كما أنها استمرت في تجاهل اللغة ضبطاً وأنماطاً وإهمالاً للهمزات وعلامات الترقيم. أما مضامينها فقد تمثلت في السحر والغرابة والجان والمغامرات الفردية، أو على القصص الدينية والأخلاقية العامة، وفي الحالين لم يكن الطفل عاملاً من عوامل اختيار مضامين الكتب التي يقرؤها، إلا أن أدب الأطفال في الستينات والسبعينات استطاع تحقيق نقلة نوعية في المضامين، مفادها تعرّف الطفل لسبر المضامين التي تلائمه، إضافة إلى قضية القيم وأثرها في سلوك الأطفال، ومن هذه الزاوية بدا تطوّر أدب الأطفال في الستينات والسبعينات عما كان عليه في الثلاثينات والأربعينات.

ومن خلال استقراء الامتداد المرتبط بالعوامل الكامنة وراء ظهور أدب

الأطفال في التراث العربي الحديث، فإن من الخطأ الاعتقاد بأن أثر التراث القديم في تراث أدب الأطفال الحديث قد انتهى عندما بدأ الأدباء يتعرّفون على الطفل ويكتبون له، وهناك دلالات تقرر بقاء التأثير للتراث القديم على معالم نهضة أدب الأطفال في التراث العربي الحديث، وذلك من خلال الأمرين التاليين:

- النظرة الاجتماعية: إذا كان العربي في الأدب القديم ينظـر إلى الطفل على أنه راشد مصغّر، وكان يفضّل الذكـر على الأنثى، فإننا لو دقّقنا في أدب الأطفال في التراث الحديث لوجدنا النظرة نفسها تحكم مضامين هذا الأدب، فالأديب العربي يأنف من النزول إلى الطفل لأنه يعيش داخل مجتمع ما زال يؤمن أن الأدب للكبار وحدهم، وأن أدب الأطفال لهو أو شيء من اللهو لا يحتاج إلى موهبة ودراسة وتخطيط. ومن الجدير بالذكر أنه في مضامين الأدب الذي كتبه الكيلاني والعريان والإبراشي ما زال الذكر سيد القصص، وما زال السحر والشر مقصورين على الإناث، سواء أكانت القصص التي تضم هذه المفهومات مؤلفة أم مترجمة، فإنها في الحالين تشير بشكل غير مباشر إلى موافقة المؤلف أو المترجم عليها، ورضاه عنها، وقبوله نشرها بين الأطفال.

- الأنسنة: وهي تعني عملية خلع صفات الإنسان على الحيوان والجمادات، حيث شاعت الأنسنة شيوعاً كبيراً في أدب الأطفال في النصف الأول من القرن العشرين، حتى أن المرء لا يكاد يجد شيئاً يعدلها فيه، ففي غالبية القصص يتحدّث الحيوان ويتألم ويفرح، ويقيم مع بني جنسه علاقات لا تختلف عن علاقات الإنسان بالإنسان. وقد اعتقد الدارسون أن مفهوم الأنسنة وردنا من الغرب من خلال الترجمة التي قام بها عثمان جلال وأحمد شوقي وكامل الكيلاني، وقد يكون ذلك صحيحاً في حدود النصوص التي ترجمها هؤلاء الرواد عن (لافوتين) وغيره، إلا أن الواقع التراثي

العربي يشير إلى أن الأنسنة قديمة عند العرب قبل (كليلة ودمنة) بقرون، حيث عرفوها من خلال الحكايات والأساطير، وما زالوا يتناقلونها بينهم كابراً عن كابر، إضافة إلى أن هناك من يقول إن كتاب (كليلة ودمنة) الذي ينطلق من مفهوم الأنسنة أثّر في (لافوتين) بعد أن قرأه بالفرنسية.[1]

لقد برزت أسماء كثير من الأدباء الذين كان لهم دور في دعم التطوير والازدهار لأدب الأطفال، هذا إلى جانب الاهتمام الرسمي بهذا الأدب، حيث تعددت دور النشر التي تصدر كتب الأطفال، والتي بلغ عددها أكثر من ٥٠ داراً أصدرت أكثر من ٣٠٠ سلسلة كتبها أكثر من ٤٠٠ من الكتاب والمؤلفين. وفي سنة ١٩٦٤م أصدرت وزارة المعارف العمومية المصرية قراراً وزارياً بتأليف (لجنة للعناية بأدب الطفل) ضمّت عدداً من الرواد في هذا الميدان، كما خصصت الإذاعة والتلفزيون برامج للأطفال، وخصصت كذلك بعض الصحف مكاناً خاصاً لهم، كما أنشأ مسرح للعرائس.

وقد مثّلت نهاية الستينات نقطة تحوّل جديد في تاريخ أدب الأطفال العربي المعاصر، وذلك عندما بدأت محاولات دراسة أدب الأطفال على أسس علمية، وقد تمثلت أول خطوة كبيرة في هذا الشأن متمثلة بإنشاء المكتب الاستشاري لثقافة الأطفال بوزارة الثقافة، والذي قام بتنظيم برنامج هام لتدريب كتّاب الأطفال، وقد تمخّض هذا البرنامج الأول من نوعه عن نتيجتين هامتين هما:

- إصدار كتاب (فن الكتابة للأطفال) الذي أعده الأستاذ أحمد نجيب أحد المحاضرين، واعتبره البرنامج بداية لعمل طليعي.
- إنشاء (جمعية ثقافة الأطفال) التي تكوّنت بعد انتهاء البرنامج من مجموعه ممن حضروه من المحاضرين والدارسين.

١- الفيصل – سمر روحي، ثقافة الطفل العربي، مرجع سبق ذكره، ص ١٢٦.

ومع مطلع السبعينات تتابعت الإنجـازات والمؤتمـرات وحلقات البحث في هذا الميدان، حيث خصص لأدب الأطفال نصيب من جوائز الدولة التشجيعية، وأصبح (أدب الأطفال) مادة دراسية في بعض معاهد إعداد المعلمات بوزارة التربية المصرية، هذا فضلاً عن عقد الهيئة المصرية العامة للكتاب ندوتها الدولية حول (كتاب الطفل)، وجهود بعض الرموز وأصحاب القرار في العمل من أجل الطفل ورعايته، وإقامة مهرجان للقراءة للجميع سنوياً، بالإضافة إلى تطوير المكتبات الموجودة بالفعل، وإنشاء مكتبات خاصة بالأطفال. كما أن هناك جهود رسمية وأهلية أخرى كان لها تأثير في تحقيق نقلة نوعية لأدب الطفل في المجتمع العربي[١]، حيث تزايدت الاهتمامات بأدب الأطفال، وتعدّدت دور النشر التي اتجهت إلى إصدار كتب الأطفال، كما تتابعت منذ عقد السبعينات الإنجازات والمؤتمرات والندوات وحلقات البحث في ميدان ثقافة الطفل وأدبه[٢].

ويتضح مما سبق استعراضه حول العوامل الكامنة وراء ظهور الأدب في العصر الحديث أن النمط السائد في التوجه نحو الكتابة في أدب الأطفال لا زالت تؤثّر فيه الأنماط التي كانت في الأدب العربي القديم، هذا فضلاً عن جانب التوظيف السائد في هذا الضرب من الأدب، مما يقرر حقيقة مفادها أنه على الرغم من الانفتاح المعرفي على أدب الأطفال الذي شاع في الغرب، إلا أن النمط الشرقي في التراث العربي الحديث لا زالت تبرز له خصوصية، والتساؤل الذي يفرض نفسه أمام هذا الاهتمام – الأهلي والرسمي – لأدب الطفل في التراث العربي الحديث... أين إذاً مظاهر الأزمة التي يقبع أدب الأطفال تحت وطأتها ؟... ما هي تداعياتها ؟... وإلى أين بلغت أبعادها كي يحتاج إلى إعادة استقراء وتجاوز لكثير من جوانب القصور التي من شأنها

١- المشرفي – انشراح إبراهيم، أدب الطفل – مدخل للتربية الإبداعية، مرجع سبق ذكره، ص ٨١.
٢- أحمد نجيب، المضمون في كتب الأطفال، دراسات في أدب الأطفال (٢)، دار الفكر العربي، الإسكندرية – مصر، ص ٤٥.

إعاقة النهوض بهذه الصناعة الحيوية في حقل الأدب ؟

إن القضية في منظومة الارتقاء بأدب الطفل لا تتمثّل في حشد الجهود فحسب، بل لا بد من توجيه هذه الجهود وفق خطط مدروسة تستهدف تحقيق غايات محددة تتسم بالخصوصية والإبداع الذي ينطلق من البعد المتجذّر للمجتمع العربي المسلم، ولا شك أن ذلك يتحقّق من خلال أرضية صلبة، وذلك باعتبار أن أدب الأطفال من الأدوات الهامة والأساسية في تنشئة الطفولة التي تعتبر أهم الدعائم والركائز لمستقبل المجتمع وشخصيته التي نريد لها أن تكون قوية ومؤثّرة، كما أن حاجتنا ماسّة وشديدة إلى بناء أدب عربي للأطفال يهتم بأطفالنا ويبين لهم طريق المستقبل[1].

ومن جانب آخر، فإنه يتضح من خلال هذا الاستقراء المختصر للعوامل الكامنة وراء ظهور أدب الأطفال في التراث العربي الحديث، وما بذل من جهود في هذا المضمار، أنه ليس ثمة استثمار حقيقي لما بذل في أدبيات الطفولة في التراث الإسلامي وفق ما استقرأه عبد الرزاق الحاج عبد الرحيم فيما سبق استعراضه، لا سيما وأنه ما زال في غالبه أدباً مخطوطاً غير مطبوع، كما أنه لم يتعدّ التأثير للتراث القديم على التراث العربي الحديث إلا ضمن نطاق سطحي تمثل بالمبدأ المُتبنى في صناعة أدب الأطفال فيما تمثلت به النظرة الاجتماعية للطفل على أنه راشد مصغّر، وأنه يفضّل الذكر على الأنثى، وفيما تمثّلت به الأنسنة التي تعني عملية خلع صفات الإنسان على الحيوان والجمادات.

ثانياً: تداعيات أزمة أدب الأطفال في الواقع المعاصر.

على الرغم من الجهود التي بُذلت من أجل تنمية حقل أدب الأطفال في التراث العربي القديم، فإن العقود التي يمتد إليها الواقع المعاصر،

١- مفتاح محمد دياب، مقدمة في ثقافة وأدب الأطفال، ط.١، ١٩٩٥م، الدار الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة — مصر، ص ٢٥.

وما عليه الحال في ظل الواقع قد أفرزت جانباً من التداعيات التي نجمت عن غياب في التخطيط المستهدف للخصوصية في هذا الأدب. وفيما يلي تناول مستفيض لجانب من هذه التداعيات التي أفرزت هذا الأدب الهزيل الذي يقدم للأطفال في المجتمع العربي المسلم.

- **ضعف في استيعاب احتياجات الطفل**: إن الضعف في استيعاب احتياجات الطفل في دول العالم الثالث بات ظاهرة تتضح معالم تخلّفها مثلها مثل الظواهر الأخرى التي ترتبط بحضور المجتمع وتأثيره ودرجة نضجه ووعيه، سيما وأن الحديث عن احتياجات الطفولة – وأدب الطفل أحدها – يدخلنا - كما قرر إبراهيم سند في كتابه (عمالقة وأقزام) - في هموم كثيرة، وأننا ما زلنا نسير ببطء نحو عوالم الطفولة الرحبة في ظل احتلال الطفل حيزاً محدوداً من الاهتمام. كما أكد سند على أن المجتمع عندنا منقسم إلى قسمين، قسم خاص بالعمالقة – يريد بذلك الكبار - وآخر مخصص للأقزام – يريد بذلك الصغار - وأن العمالقة ينظرون إلى الأقزام وكأنهم مخلوقات غريبة، ولا يعرفون كيف يتصرّفون معهم، ولا يجدون لغة مناسبة للحوار معهم؛ لذلك فإنهم يقومون دائماً بالتهرّب من أسئلتهم الكثيرة المتسّمة بالعفوية والبراءة ومحبّة معرفة العالم واكتشاف أسراره الغامضة.

ومن جانب آخر، يؤكد سند ما ترتّب على هذه النظرة من العمالقة للأقزام من أن هؤلاء العمالقة عندما يعجزون عن فهم عالم الأقزام، فإنهم ينهالون عليهم بالضرب والصراخ والعويل والشتم، وكأنما هناك إشكالية في فهم الحدود التي يوفّرها عالم الكبار للصغار، وأنه قد ترتب على ذلك جناية تدمير الكبار لأحلى سنوات العمر عند الصغار بسبب الجهل والافتقار إلى المعرفة، والركون إلى بعض المعتقدات والموروثات البالية.

ويؤكد سند في ختام كلامه عن ظاهرة ضعف استيعاب احتياجات الطفل أن هناك اعترافا بوجود سلبيات في عالم الطفل، ولكن في المقابل هناك

ضعف في حلّها، إذ إن حلّها لا يمكن أن يتحقّق بعفوية وارتجالية، وأن ذلك يستلزم المزيد من الخطوات الصحيحة، والتفكير الاستراتيجي في معالجة القضايا التي ترتبط بالطفولة، سيما وأن كل ما يقدّم للطفل من جهد وتضحية سوف نجني ثماره في المستقبل، وأننا ينبغي ألا نخاف من نمو البذور الصغيرة، فهي لا بد وأن تنمو[1].

إن تفهّم احتياجات الطفولة لا بد وأن ينصبّ في قوالب تتناغم مع معطيات الواقع وما يميل إليه الطفل، ولا شك أن النظرة السائدة في مجتمعاتنا لا بد وأن تتّسم بجانب من العلمية والاستقراء، كما لا بد، من أجل تفهّم احتياجات الطفل في مجتمعنا، أن نعمل على اجتثاث النظرة المغلوطة لعالم الطفل من أجل تغيير معطيات التعامل معه، وأن نستوعب أن دعم برامج الاهتمام بالطفل تتمثل بمختلف جوانب تثقيفه، وأن دعم برامج تنمية قدراته لا بد أن تحتل نطاقاً أكبر مما هو سائد.

خصوصية في الإبداع لم تتبلور بعد: ذكر هادي نعمان الهيتي في كتابه «أدب الأطفال : فلسفته، فنون، ووسائطه» الذي ألّفه سنة ١٩٨٦م أنه على الرغم من تزايد الاهتمام بأدب الأطفال في أكثر بقاع الدنيا، إلا أن أدباً ذا خصوصية لأطفال العرب لم يتبلور بعد، ولم تظهر له شخصية متميّزة رغم الجهود التي عكسها الامتداد السابق استعراضها. كما قرر بأن عدم تبلور الخصوصية المبدعة التي تقرّرت بناء عليها تداعيات الأزمة التي يُعاني منها أدب الطفل تمثّلت في طغيان النظريات التربوية التقليدية التي ترى في الطفل رجلاً صغيراً، يضاف إلى ذلك إلى أن المجتمع كان مجتمع رجل قبل كل شيء، وليس هذا فقط، بل إن الاهتمام بالثقافة والإعلام هو ظاهرة حديثة نسبياً في مجتمعنا العربي المعاصر.

١- إبراهيم سند، عمالقة وأقزام – كتابات في أدب الطفل البحريني، ط.١، ١٩٩٧م، دار الكنوز الأدبية، المنامة – البحرين، ص ١١.

ويقرر الهيتي من جانب آخر – فيما أوافقه عليه – بأنه في ظل مستجدّات الواقع المعاصر، فإن ما قدم وما يقدّم للأطفال وفق النظريات التربوية التقليدية لا يمكن اعتباره أدباً للأطفال؛ لأنه في هذه الحالة يفتقد أهم عنصر فيه، حيث أن كل صيغة تقدّم للأطفال لا تراعي في الطفولة خصائصها باعتبارها كائناً متميزاً له دوافعه وميوله وخيالاته وقدراته هو بعيد عن أدب الأطفال الحق... ولكننا هنا لا بد أن نفرّق بين هذا الاتجاه الخاطئ، وبين البدايات الجادّة السليمة، والتي يمكن أن نقول- استناداً إليها: إن أدب الأطفال هو في المهد، ولكنه سليم معافىً. كما أشار بأن كل ما وصل إلى أذهان وأخيلة أطفالنا نبع من مصدرين، فأما أولهما فكان عن طريق حركة الترجمة من بعض اللغات الأجنبية، وخاصة اللغة الإنجليزية والفرنسية، وثانيهما يتمثل في تبسيط بعض الحكايات والأقاصيص العربية المستمدة من تراثنا الأدبي على نحو مهترئ ومهلهل.

وبناء عليه، فإن القصة والأقصوصة والحكاية كانت لها نقلة في مجتمعنا، أما الجوانب الأخرى من ألوان الأدب فإنها لم تلق العناية آنذاك، بل هي لم تلق ما تستحق حتى اليوم رغم أن أدب الأطفال يشكّل كلاً لا يقبل التجزئة، وهو يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمستقبل الاجتماعي والاقتصادي والسياسي لأي أمة، والأمم لا تقاس اليوم بمقدار ما بنته في ماضيها، ولا بما حققته في مستقبلها فحسب، بل بمقدار ما أعدته لمستقبلها الذي لا يمكن أن يتحقّق دون تبنّي منهجية للتخطيط.

وحتى المصدر الأول الذي استمدّ منه الزاد الثقافي لأطفالنا –وهو الترجمة– يعد مصدراً لا اعتراض عليه متى ما كانت هناك معايير لاختيار المواد الأصيلة والمناسبة، والمعروف أن نسبة عالية من ألوان الأدب المقدّمة للأطفال في البلدان الاشتراكية هي مواد مترجمة عن لغات مختلفة، ولكن الاختيار يتم وفق مواصفات محدّدة وحقيقية.

ولكننا حين نتصفّح الأكداس المترجمة والمقدّمة لأطفالنا، نجد شتيتاً غير متجانس من القصص والحكايات والمسرحيات، والتي لا يصلح كثير منها لأطفالنا، ويتوخّى ناشروها – في الغالب – الربح المادي قبل كل شيء، وإقبال الأطفال عليها وشغفهم بها لا يعنيان - ولا شك – أنها مناسبة أو صالحة لهم. أما المصدر الثاني فهو متمثل في تلك الحكايات والأقاصيص التي استمدت أكثرها من التراث العربي، فعلى الرغم من إمكانية استمداد مضامين رائعة منها لألوان عديدة من أدب الأطفال، إلا أن مثل هذا لم يتحقق بعد، فقد جاءت بعض الحكايات والعبر كما هي أسلوباً ومضموناً، في الوقت الذي تطوّرت فيه لغتنا العربية خلال هذه الأحقاب الطويلة، كما أن مضامينها أبقيت كما هي، في الوقت التي يفرض عصرنا الحاضر التقدّم بمضامين جديدة تناسب أطفالنا. أما الحكايات الشعبية التي كانت تتناقلها العجائز، فقد تولّت بعض دور النشر التجارية تقديمها إلى الأطفال رغم ضعف أغلبها[١].

وهنا، لا بد من التأكيد أن كثيراً من الأقاصيص المستمدّة من تاريخنا، والحكايات الشعبية التي نسجتها أخيلة الناس في عصور مختلفة، هي وليدة عصور العبودية والإقطاع، كما، أنها بالأساس، لم تكتب للصغار، بل كان يتداولها الكبار في تلك العصور المتخلّفة. وعليه فإن من الخطأ اعتبار جميع تلك الأقاصيص والحكايات عبراً وأخيلة توسّع المدارك عند الأطفال، ولكن من الضروري توجيه أخيلة أطفالنا نحو الواقع من أجل أن يكتسبوا زَخَماً يستطيعون من خلاله مواجهة الحياة فيما بعد، كما أنه من الضروري ألا ندفع بعالم الطفولة إلى عالم الوهم[٢]، سيما وأن هناك فرقاً شاسعاً بين الخيال والوهم.

١- الهيتي – هادي نعمان، أدب الأطفال (فلسفته، فنون، ووسائطه)، مرجع سبق ذكره، ص ٨٨.

٢- راجي عنايت، مسرح الأطفال بين الواقع والأسطورة، مجلة الطليعة، السنة (٢)، إبريل ١٩٦٦م، القاهرة – مصر، ص ٧٥.

ومن جانب آخر، فإن بعض القصص السحرية والخرافية من تركات المجتمعات المتخلّفة قد تنشئ في طفولتنا روح العدوان والوحشية، وقد تبرز صور الخوف والقلق، سيما وأن التطور الاجتماعي والعلمي يمكن أن يتمخّض عن قصص خيالية تلائم طبيعة الحياة الجديدة، وتدفع بها إلى الأمام، كما أن بالوسع تحوير تلك القصص والحكايات وإبراز الجوانب التي تشجّع على الوئام والتعاون والمساواة ومحاربة المعتدي والمطالبة بالحق، وذلك بحيث تبدو ملائمة للحياة المعاصرة؛ لأنه لا يحق لنا أن نجعل من طفولتنا حبيسة أخيلة متخلّفة، وذلك بإيجاد صلة تربط بين الأخيلة والواقع الذي يحياه الطفل، وبذلك نوفّر للطفولة عنصرين أساسيين في الحياة هما: سعة الخيال، والقدرة على الحياة.

وقد أكد الهيتي في ختام حديثه على ضرورة مراعاة الخصوصية في الإبداع في الأدب العربي التي لم تتبلور بعد، على أن تراثنا العربي فيه من الثراء ما يمكن أن نستمد منه ألواناً أدبية رائعة لا كالتي نجدها اليوم تنقل بلغة صعبة، وتحمل نفس المفاهيم، حتى لو كانت مفاهيم[1].

● **ضبابية في منظومة القيم المستهدفة:** يقرر محمد حسن بريغيش بأن القيم التي يهدف إليها أدب الأطفال بصورته في مجتمع تسوده قيم مشتركة ينبغي أن يتّسم بالوضوح والتأطير، إلا أن القيم التي يستهدفها أدب الأطفال في العالم العربي في ظل الواقع المعاصر غير واضحة؛ وذلك لأن هذا الأدب الناشئ جاء انعكاساً للأدب الغربي دون تمحيص أو تفحيص في الغالب، فضلاً عن أنه نشأ في ظل أوضاع تقف من الإسلام موقفاً معادياً في كثير من الأوقات، والثقافة والأدب بأيد تنتمي إلى مدارس فكرية تنكر الدين وتحاربه وتنظر إليه بازدراء. ومما يؤكد ذلك أن الكثير من الدراسات التي اهتمت بالقيم التربوية في أدب الأطفال أو القيم بشكل عام: كان جُلّ

١- الهيتي – هادي نعمان، أدب الأطفال (فلسفته، فنون، ووسائطه)، مرجع سبق ذكره، ص ١٠٤.

اهتمامها بالجوانب المادية من حياة الطفل إلا ما ندر، بل اعتمدت هذه الدراسات في آرائها على النظريات الغربية حول النفس الإنسانية بعامة، ونفس الطفل بخاصة.

وهناك اتجاهات أخرى دأبت على تسخير أدب الطفل لإخراج جيل يؤمن بالعلمانية، ويدين بالاشتراكية العلمية، وينسلخ عن ماضيه وتراثه وقيَمه، ويتنكّر لتاريخه، ويرفض معتقداته؛ ومن أجل ذلك تأتّت ضرورة أن ينهض المختّصون المخلصون بدراسة المضامين الخاصة بأدب الأطفال، والأهداف التي ينبغي أن يهدف إليها على أسس إسلامية واضحة حتى لا تتوزع الجهود أولاً، ثم تضيع الخطوات وتتعدد الرؤى أو تتضارب بلا معرفة أخيراً.

ومن جانب آخر، فإن وظائف أدب الأطفال ترتبط بتحقيق عدد من الأهداف يأتي على رأسها الأهداف الاعتقادية؛ إذ إن كل المذاهب الأدبية والمدارس الفنية والاتجاهات الفكرية تستند إلى عقيدة من العقائد، وحتى في الغرب لايخفي الناس هذا، بل يصرّحون بما يعتقدون، ويتناولون كل الأمور بحريّة وصراحة ووضوح، فيقولون عن الدين ما يريدون، ويتحدّثون عن النشاطات الفكرية والأدبية. أما عند المسلمين فالأمر يختلف، حيث يأخذون من نتاج الغربيين، ويقتدون بمذاهبهم الأدبية، ويتبنّون مدارسهم الفنية، بل والفكرية أحياناً، ويدّعون أن ذلك بعيد كل البعد عن المعتقدات والدين والشرع الذي يؤمنون به.

إن في بعض جوانب من الأدب الموجّه للأطفال ما يقرر الاستنكار والاستهزاء بالقيم والأساليب التي يعلّمها الإسلام للناس عامة والمتمثلة في التراحم والتعاطف والتكافل والتعاون، وهذا ما يجعل من اللازم الاهتمام بمضامين أدب الأطفال باعتبارها ضرورة واجبة في بناء جيل مؤمن بالله، أمين على قيَمه وتاريخه وحاضره ومستقبله، جيل يتحمّل المسؤولية غداً،

ويبني المستقبل على أسس متينة صحيحة، ويتخلّص من آثار الهزائم المتوالية للمسلمين في القرن الحالي.[1]

يقول حازم العظم: «إن معظم ما تنشره دور النشر للأطفال مترجماً أو مؤلفاً يكون بغير خبرة كافية؛ فالأدب الخاص قليل ويمر بأزمة وجود، وهذه الأزمة أتاحت لبعض الناشرين، في غيبة الرقابة والنقد، البحث عن مجلات وكتب الأطفال الرائجة... (أقول والأفلام المتحركة ولعب الكمبيوتر)، فقدموها لأطفالنا مترجمة بالصور نفسها بغير تمحيص، مع أنها تحوي قيَماً تربوية غير ملائمة لعقيدتنا وقيمنا الروحية، أو مرفوضة حتى في البلاد التي تصدر عنها». والأمر نفسه يؤكده الدكتور محمد شاكر سعيد في قوله: «إن كثيراً مما كتب للأطفال في واقعه ليس صالحاً للأطفال لتجاوزه مستويات الأطفال، أو لتجاوزه الجانب التربوي المناسب للأطفال، أو لعدم تضمّنه قيَماً أخلاقية تسهم في تربية الأطفال وتنشئتهم».

إن أدب الطفل مجال واسع لنشر التبعية الثقافية والإعلامية؛ إذ يستخدمه الاستعمار لغزوه الثقافي والإعلامي، وبقصد التأثير على تكوين الناشئة، والترويج للنمط الثقافي التابع؛ لذلك أفرز لدينا مفاهيم وقيَماً خاطئة أنتجت انفصالاً بين الطفل وعقيدته ومجتمعه؛ لأنه يرى أنه يصادم ما يقال له، وفي النهاية يكون عقل الطفل مجالاً للصراع. كما يركز كثير من كتاب الأطفال على النزعة الفردية التي تسيّر الحدث دون ذكر للمجتمع المحيط بالبطل؛ مما يجعل الطفل معتزاً بذاته، ميّالاً للانفراد برأيه، مهملاً آراء الآخرين.

وكما أن الكتابة موهبة، فهي أوضح في الكتابة للصغار؛ لأنك تتعامل مع مصدّق لما يراه أو يسمعه أو يقرؤه، ولقد ابتلي المسلمون بمن لايحسن هذه

١- بريغيش – محمد حسن، أدب الأطفال (أهدافه وسماته)، ط.٢، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ص ١٠٧.

المهمة، فلم يشجّعوا أصحاب المواهب في الكتابة للأطفال، ولم يسمحوا لهم بالنزول إلى الميدان؛ مما جعل الكتّاب المتخصصين نادري الوجود.[1]

إذاً فالمسؤول عن عدم الوضوح في منظومة القيم التي تقدّم للطفل يتمثل في كون جهود الترجمة جهوداً عشوائية ولا تقوم على الانتقائية والتقييم أو حتى إعادة الصياغة وغربلة الأفكار لتتلاءم مع البعد الثقافي السائد في المجتمع العربي المسلم، ويكون ذلك إما بتخبّط أو من أطراف ترفض في الغالب القالب الذي يوظّف من أجله إحياء القيم بمنهجية إسلامية لها أبعادها وأدواتها.

هناك تيارات تغلغلت في البنية الأدبية الهشّة لشعوب العالم العربي خاصة، ولشعوب العالم الإسلامي عامة، وأصبح لمن يحملون راياتها مكانة الأستاذية والقيادة، وذلك في ظل غياب الاهتمام من قبل الأدباء بهذا القطاع، وعدم الإدراك لأبعاد الآثار الفعّالة للأدب بصورة صحيحة، مما أدى إلى تخلّف شيوع الأدب الإسلامي من خلال تقديم نماذج كافية مقنعة، وإغفال المناهج النقدية وفق المنظور الحديث وجهود النقاد في أنحاء العالم، إلا أن أكثر هذه العوامل تمثل خطورة في الفلسفات الحائرة أو الجانحة التي غزت عالمنا، والتي استطاعت أن تخطف أبصاره وتوازنه ببريقها وصيغها الساحرة الفاتنة[2].

● **البحث عن بطل جديد:** ذكر عبد الرحيم مؤذن في دراسته التي بعنوان: (البحث عن بطل جديد) بأن من أهم الإشكاليات المركزية في مجال التعاطي إسلامياً مع عالم الطفولة والفتيان في الواقع المعاصر يتمثل في عجز الإبداع العربي والإسلامي عن إيجاد الشخصية العربية الإسلامية

١- مقال منشور عن مجلة، البيان السنة السابعة عشرة، العدد ١٧٩، غير معلن الكاتب على موقع صيد الفوائد ضمن الرابط الإلكتروني: http://www.saaid.net/tarbiah/32.htm .

٢- الكيلاني – نجيب، مدخل إلى الأدب الإسلامي، سلسلة كتاب الأمة (١٤)، جمادى الآخر، ١٤٠٧هـ، ط.١، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، الدوحة – قطر، ص ٦٤.

في المنتوج الإبداعي الموجّه للأطفال والفتيان، وذلك على الرغم من المرجعية والثقافة المشتركة. كما أكد بأن الأمر يزداد تعقيداً إذا نظرنا إلى التراكم الرمزي – خاصة في الجانب الحكائي – في المجتمع العربي الإسلامي منذ أقدم العصور، وما خلّفه من نماذج وبطولات جسّدتها شخصيات شهيرة لم يمح وشمها إلى الآن من الذاكرة والوجدان.

وقد أشار مؤدن بأنه على الرغم من كون التعامل مع الإبداع الموجّه للأطفال والفتيان وليد النهضة العربية الحديثة، فإن ذلك لا يمنع مرة أخرى من معرفة الأسباب وراء ذلك على الرغم من الرصيد الكمي الكبير في هذا الميدان، سواء ما تعلّق بالأمر المحكي خاصة، كتاباً كان أو سلسلة، أو تعلّق الأمر من جهة أخرى بمجلات رائدة وبرامج إذاعية ونشرات معينة، فضلاً عن الفقرات التلفزية والأشرطة الغنائية... إلخ

ومن جانب آخر، فقد وقف مؤدن على الأسباب والموانع التي أدت إلى ذلك، وقسّمها إلى أسباب متعلّقة بالناحية المفهومية، وأسباب تتعلق بالجانب المجتمعي، وفيما يلي عرض مختصر لذلك:

- **مفهومياً:**

١- اعتبار هذا الأدب مجرد أدب من الدرجة الثانية، فالفرق حسب هذا المفهوم شاسع بين (أدب الكبار) و(أدب اليافعين)، ومن ثم فالبطولة ستقتصر على الأدب المعياري، أما أدب الصغار واليافعين فهو مجرد وسيلة لتزجية أوقات الفراغ لدى هذه الفئة، ومن ثم فهو أدب يُسوّى على عجل باعتبار أنه أدب عيال يحتاج إلى الإيهام بالبطولة دون أن يحتاج إلى البطولة الفاعلة في النص وفي الواقع.

٢- ونتيجة لذلك ينظر إلى هذا الأدب من زاوية (أديب الكبار) دون أن ينظر إليه من زاوية الكتابة الموجهة للأطفال والفتيان المتميزة بمكونات

أو خصائص محددة، وهذا يزكّي من جديد العلاقة غير المتكافئة بين (الوصي) والخاضع لهذه الوصاية، فهو أدب معياري يخضع لمقايسة مع الكبار، مما يكون سبباً في اغتصاب الطفولة أو يفاعة الطفل أو الفتى ما دام المنظور الفكري والمجتمعي المتحكّم في هذا الإنتاج هو منظور الرجولة المبكّرة القائم على هذا التصوّر، علماً بأن بت قيَم الرجولة والاعتداد بالنفس والقدرة على تحمّل المسؤولية يجب أن ينبع من عمق النص الطفلي، وليس من عمق النص الخاضع لسلطة الكبار.

٣- اقتصار هذا الأدب على المجال الحكائي المكتوب خاصة، والمسموع في مرتبة أقل، مع إهمال شبه تام لمجالات إبداعية مثل: (الرسم، الصناعات اليدوية، المحترفات، والألعاب الذهنية... إلخ)؛ ذلك أن البطولة ليست وليدة نص أو جنس أدبي أو فني محدد، بل هي نتاج تعدد النصوص واستمرارها في أنساق عديدة بصيغ متعددة.

إن تحقيق ذلك من الصعوبة بمكان نظراً إلى كون المنتوج الإبداعي غير المكتوب يحتاج إلى عوامل مادية ومعنوية تجعل منها صناعة قائمة بذاتها، ومن ناحية أخرى فإن البطولة المترسّخة في أذهان الأطفال واليافعين هي تلك البطولة المرتكزة على نماذج محدّدة تتكرر في المحكي والمرئي والمسموع والملموس. ولعل هذا ما يفسّر انتشار النماذج المجتنبة لدى الطفل الأوربي أو الأمريكي بسبب تكرار هذه النماذج في القصة والشريط والأغنية وملابس الأطفال والملصقات الإعلانية وفقرات الإشهار وعلامات الطريق... إلخ.

٤- في حال تقديم البطولة، فإنها تخضع للاستنساخ أحياناً، أو للوعي الزائف أحياناً أخرى، مما يعكس جانباً من القصور لدى كاتب أو منتج هذه النصوص ما دام الواقع الموضوعي والإبداعي أيضاً يقتضي نوعاً من النسبية، وفي الحالتين – الاستنساخ أو الوعي الزائف – يصبح الطفل أو الفتى في حالة قطيعة مع النموذج المقترح للبطولة، ويتم نسيانه من قبل

المتلقي بمجرد الانتهاء من قراءة النص، وهذا - وفقاً لما أرى - يرجع إلى غياب المصداقية في العرض المقدم للطفل.

- **مجتمعياً:**

١- سيادة الخطاب الأخلاقي الذي لا يراعي (أدبية) النص، وعدم مراعاة أنه أدب قبل أن يكون تأديباً، كما أن المعادلة الصعبة في هذا النوع من الأدب تتمثّل في المحافظة على القيم الأخلاقية الإسلامية من جهة، وعلى الجانب الفني من جهة ثانية، أما أن يتحوّل هذا الأدب إلى (تأديب) – بالمعنى الزجري - فإن هذا سيؤدي إلى خلخلة العلاقة التفاعلية بين النص وبين المتلقّي.

٢- إخضاع المناهج التعليمية والمقررات التربوية لمنظور معيّن يقصي الطفل أو الفتى من ميدان التعليم والتعلّم، فالنصوص المختارة ملتبسة الغايات والأهـداف، بل إن الكتاب المدرسي يفتقد النصوص المنتخبة من أدب الأطفال والفتيان. وهذا المنهج المتّبع هو في جوهره منهج تجزيئي لا يخضع لوحدة الرؤية أو التصوّر المتكامل للمادة التعليمية، وكأن التعامل مع الطفل أو اليافع يختلف بين مادة وأخرى، فالخطاب الأخلاقي مقصور على التربية اللغوية والدينية، في حين تخضع مواد أخرى لمنظور آخر قد يوجد على طرفي نقيض من هذا المنظور، علماً أن العملية التعليمية برمّتها يجب أن تخضع لسلم القيَم العربية الإسلامية الإنسانية.

٣- التعامل مع طفل نمطي دون مراعاة مرجعيته الدينية والثقافية عامة، حيث لا بد من أن يكون التعامل من خلال مراعاة خصوصية الطفل والفتى العربي المسلم عن طريق تكييفه هذه المقررات مع واقعه المادي والرمزي، وذلك دون أن يعني ذلك إيجاد قطيعة مع العالم من جهة، ودون السقوط – في حالة التطبيق الحرفي – في النمطية المتصاعدة بتصاعد العولمة الهادفة إلى القضاء على الهوية الرمزية والخصوصية الثقافية للأمم والشعوب من جهة أخرى.

٤- لا يمكن الحديث عن الإبداع الموجّه للأطفال والفتيان في ظل غياب الشروط المجتمعية المجسّدة لقنوات تمرير هذا الإبداع في مسارح ودور الشباب ودور النشر والجوائز الخاصة بهذا الإبداع، هذا بالإضافة إلى المكتبات العامة والخاصة، والفضاءات الترفيهية والتربوية؛ ذلك أن الإبداع الموجه للأطفال والفتيان يعتبر ممارسة للحس والوجدان، وتعامل بالفكر والجسد، إنه ثقافة شاملة تتجاوز الجزئي والموسمي، بل هو ممارسة حضارية تسمح بإيجاد المتلقي المتفاعل مع هذا الإبداع في انتظار تحوّله إلى مبدع يستفيد من توفّر هذه الشروط والإمكانات الملائمة.

٥- على الرغم من توقيع العديد من الدول العربية والإسلامية على المواثيق الدولية من جهة، وتأسيس المراصد المهتمّة بالطفولة من جهة أخرى، بالإضافة إلى وضع الخطط التنموية الخاصة بالطفل من جهة ثالثة، - بالرغم من كل ذلك - فإن هذه الإنجازات تظل خاضعة لإكراهات محلية ودولية، مما جعلها أسيرة الحقوق المادية – وهو مكسب هام – للطفل، مع إغفال لحقوقه الرمزية، ومنها الجانب الإبداعي عامة، والأدبي خاصة.[١]

وبناء على ما سبق، فإن هذه التداعيات التي أفرزتها أزمة أدب الطفل المسلم في الواقع المعاصر ترتبط بالظروف التي تفرض نفسها على واقع المجتمعات العربية والمسلمة، ففي ظل خصوصية عبرت الحدود لأدب الآخر، وأقبل عليها الطفل المسلم وخنع أمام القالب النموذجي الذي قدمت فيه، فإنه في المقابل فإنه، رغم الجهود المبذولة في هذا القطاع في الوطن العربي، إلا أنها تبقى جهودا مبعثرة وعشوائية وغير مدروسة أو قائمة على استقراء وتحليل لذلك فهي متعثرة، لا سيما في ظل ضبابية متمثلة فيما يستهدفه أدب الأطفال من غرس لقيم معيّنة في وجدان الأطفال، حيث أصبحت هذه القيم خاضعة في ترشيدها وانتقائيتها للأنماط والتوجّهات الفكرية

١- عبد الرحيم مؤذن، البحث عن بطل جديد، مرجع سبق ذكره، ص ١٦٣.

المتضاربة التي أصابت التوجّهات الطفولية في مجتمعاتنا في مقتل.

إن ما سبق ذكره ما زالت آثاره قابعة على جسد الأمة المنهكة من واقعها، وذلك على الرغم من أن كثيراً من الحكومات والمؤسسات بدأت تولي أدب الأطفال اهتماما خاصا باعتباره الأداة الفعّالة لنقل قيَم الأمّة وذاتيتها وثقافتها وحضارتها، هذا إلى جانب كونه أداة مُثلى لتشكيل وجدان الطفل وعقله وطبع سلوكه وتنمية ملكة الخيال عنده، وإيجاد التوازن النفسي وإشباع فضوله المعرفي، وإثراء لغته وتنمية إحساسه بالجمال.

وقد ذكرت باسمة العسّال جانباً من الجهود التي بذلت من أجل تحقيق ذلك، ومما ذكرته على سبيل المثال لا الحصر:

- إقامة جمهورية مصر العربية لمعرض سنوي منذ العام ١٩٨٣م لكتب الأطفال ترعى من خلاله حلقات دراسية إقليمية فيما يتعلّق بأدب الطفل أو ثقافته.

- في العام ١٩٨٥م رعت البحرين ندوة حول كتب الأطفال في دول الخليج العربية.

- أقيم في الرياض بالمملكة العربية السعودية المهرجان الثامن للتراث والثقافة (الجنادرية) في العام ١٩٩٣م، وكان موضوع أدب الطفل محوراً رئيساً للندوة المتخصّصة، حيث تناولت أوراق العمل موضوعات شتى مرتبطة بذلك منها: (القصة والمسرح في أدب الأطفال، الشعر والأغنية في أدب الأطفال، ونظرة مستقبلية إلى أدب الأطفال).[١]

هذا بالإضافة إلى مؤتمرات وندوات عُقدت لمناقشة وتحليل أدب الطفل وأزمته الحالكة، وآليات إتقان وتجويد العمل في هذا النطاق الهام والحيوي في حياة المجتمعات الإنسانية، والذي إن لم نقدره حق قدره، ونتقن فيه

١- باسمه العسلي، أدب الأطفال... دعوة إلى الأصالة والإبداع، ثقافة الطفل – واقع وآفاق، مجموعة أبحاث تجميع. عبد الواحد علواني، ١٩٩٧م، دار الفكر، دمشق – سوريا، ص ١٢٨.

صناعة احترافية من مختلف الأبعاد، فإن تحقيق النقلة النوعية المرجوّة في هذا الميدان تبقى حلماً وردياً يراود الخيال، ويقبع تحت ما ينظّر له المنظّرون دون تجاوز ذلك نحو تبنّي برنامج عملي مؤثّر؛ ليبقى الحال على ما هو عليه، وذلك في ظل أوضاع ما زالت فيه أبعاد الأزمة التي يعاني منها الطفل عالمياً - وبشكل أخص في المجتمعات العربية والإسلامية - آخذة في التفاقم على نحو يبرز ضرورة التخطيط باعتباره أداة لاحتواء تداعيات وإفرازات هذه الأزمة على الجيل المعاصر والأجيال القادمة، وذلك وفق ما تقرّره معطيات النظرة إلى هذا الضرب من الأدب وتجويد الإتقان فيه على نحو من شأنه أن يحقق صناعة احترافية لها اعتباراتها ومقوّماتها في أدب الأطفال.

ثالثاً: أبعاد أزمة أدب الأطفال في الواقع المعاصر.

ليست الخشية من بروز مثل هذه التداعيات إلا لما ستفرزه من أبعاد تمتد بالأزمة إلى نطاق يجعل أمر احتوائها متعذرا في ظل التعقيد الذي تشهده قطاعات التلاقح الفكري بين المجتمعات الإنسانية، حيث لم تعد مجدية ومؤثرة إلا نبرة من يمتلك القدرة على بسط نفوذه وصولجانه على الطرف الأضعف الذي ليس له إلا الإذعان والانبهار لما يُفرض عليه من توجّهات وابتكارات، وعجزت عن أن تكون منها منافسة لها، فضلاً عن مجاراة يمكن أن يُصنع من خلالها اعتباراته وخصوصياته؛ ذلك أنه قابع في ظل أزمة، ويغيب التخطيط نحو الخصوصية والإبداع في قاموسه باعتباره الحل الجذري للأزمة.

إن خطورة أبعاد الأزمة التي يعاني منه أدب الطفل في مجتمعاتنا تتمثل في أن الأحوال المستقبلية للبلاد مرهونة بأحوال الأطفال، وأن الأطفال في الوطن العربي ثروة بشرية هائلة بحاجة إلى إعداد ورعاية من كافة النواحي على اختلاف المراحل العمرية، وأن هذه الأزمة ستتفاقم تداعياتها

إذا لم يقم مجتمعنا بمسؤولياته المتنوعة والضخمة تجاه الأطفال.

ثم إن الإشكالية الأخـرى التي من شأنها أن تعرقل تفهّم نطاق هذا الاحتياج للتعامل معه تتمثل في أنه ليس هناك أبحاث أو دراسات تتناول كيفية مواجهة مجتمعنا لمسؤولياته هذه، والعمل على إقامة جهاز للرصد والإشراف على كل ما يقدّم للطفل بدلاً من أن يكون خاضعاً لقانون العرض والطلب.

إن التسيّب والبعثرة في عدم مراعاة احتياجات نمو الطفل - وبشكل أخص في الناحية الثقافية - آخذة في التفاقم ما دام ليس هناك خطّة متكاملة يمكن تنفيذها فيما يتعلق بأدب الطفل وثقافته، لا سيما وأن تلك الثقافة هي التي تمكّنه من صقل شخصيته. ثم إن أبرز ما يعيق تبنّي مثل هذه الخطة المتكاملة أن الدراسات حول الأطفال في مجتمعاتنا ما زالت قليلة بل ونادرة.

ومن الجدير بالذكر أن احتواء هذه الأزمة يتعذر، إن لم يكن مستحيلا، أن يكون بجهود فردية ومتفرقة؛ ذلك أن احتواءها يستلزم وقفة نقدية مؤسسية أمام المضامين الثقافية المنتجة وتحليلها لمعرفة مدى ما تتركه من آثار في البنية النفسية والعقلية للطفل العربي، ومن ثم الانطلاق بوعي وتخطيط في مسيرة الإنتاج الثقافي والأدبي للطفل. ولا شك أن ممارسة عملية النقد المؤسسي التشاركي هذه لو تمت لترتّبت عليها نتائج هامة جداً؛ إذ إنها تؤدي إلى معرفة مدى تجاوب الطفل مع المنتج الثقافي، ومدى تأثّره به انفعالياً أو نفسياً أو فكرياً، وذلك كله وفق دراسات ومعطيات ميدانية تقوم بها المؤسسات المتخصصة[١].

وقد أشار قحطان بيرقدار إلى أن الإنتاج الأدبي الذي يُقَدَّمُ للأطفال في

١- ذكاء الحر، الطفل العربي وثقافة المجتمع – عينات من قصص الأطفال، مرجع سبق ذكره، ص ٤٢.

الواقع المعاصر كثير ومتنوع، وأنه تكفي متابعة بعض المجلات المختصة في أدب الأطفال في مختلف أقطار الوطن العربي المطبوعة منها والإلكترونية، وما يظهر على الساحة من إصدارات خاصة من دور النشر والمؤسسات الثقافية؛ لنعرف أن لدينا محصولاً وفيراً من أدب الأطفال يحتاج إلى متابعة واهتمام من النقّاد من أجل تمحيصه وتقويمه ومحاولة وضع نظرية عامة له.

كما قرر قحطان بأنه، على الرغم من كل ما يقال من مدح وذم، ورغم وجود عدد كبير من الإصدارات التجارية المحضة التي لا تهتم بالمضمون ولا تعي ما تقدم للأطفال، فإن هناك إصدارات أدبية متنوّعة بين شعر وقصص ومسرحيات يتجلّى من خلالها الأدبُ الخالص البعيدُ عن المباشرة والتوجيه الفج... أدبٌ يستلهم التراث والأصالة، ويعرض نفسه ضمن رؤىً جديدة تواكب العصر، وتظهر من خلالها تطلّعات جديدة وأساليبُ مبتكرةٌ من شأنها أن تغني الأدب العربي والثقافة العربية بوجه عام، ولا يعوزها في ذلك إلا أن يتكرم النقّاد بالبحث عنها ومحاولة دراستها وتقييمها وبلورتها، وأن يكفّوا عن دراساتهم المكرّرة لأسماء قديمة شبعت من النقد والدراسة[١].

لقد أفرزت تداعيات أزمة أدب الطفل في الواقع المعاصر العديد من الأبعاد التي أثّرت في واقع ومستقبل هذا الأدب في مجتمعنا، فقد نجم عنها أزمة في المضمون، وأزمة في اللغة، وأزمة في الرسوم والصور، فأما أزمة المضمون فقد تمثلت في تقديم مضمون غير منسجم مع قدرات الطفل ومكانته، وهي من دون شك أزمة خطيرة وضخمة، وأخطر ما فيها أن تصورّها وفهمها وعلاجها لا يتعدّى اقتراح النظريات والتوصيات، مما يستلزم القيام

١- قحطان بيرقدار، أدب الأطفال بين الواقع والتَّطلُّع، مقال منشور على موقع الألوكة ضمن الرابط:

http://www.alukah.net/Literature_Language/01/2068/

بدراسات وأبحاث جادّة وجذرية من أجل الوصول إلى حل ناجع من شأنه تحقيق التجاوز لهذه الأزمة، والوصول إلى الأساليب والأشكال المُثلى لإيصال المضامين[١].

أما أزمة اللغة فإنها ناجمة عن التمسك باللغة الجزلة والإكثار من المجازات، واعتبار ذلك سبيلاً ناجعاً إلى تحقيق عمق في الثقافة وإغناء لها، في حين أن الحقيقة تتمثل في أن ضحالة اللغة وتهذيب السلوك اللفظي أو عدمه لا يشيران إلى ثراء الثقافة فحسب، ولكنهما يحدّدان الطبقة العقلية والاجتماعية التي ينتمي إليها المتكلّم، فتطوير اللغة باستمرار لتساير حاجات الطفل المعيشة والعلوم، وذلك أن تلقين النشء تعبير عن الأفكار، والأفكار تعبير عن المعارف ومعيار للتطور الاجتماعي، كما أن لغة الطفل في النهاية هي معيار رصيد المعرفة الخاصة والعلوم القائمة في مجتمعه[٢].

إن هذا القول يوضّح في النهاية أهمية اللغة بالنسبة للطفل باعتبارها وسيلة للمعرفة وامتلاك المعلومات والخبرات، ورغم كل ذلك فإن من يكتبون قصص الأطفال في مجتمعنا تهمّهم التقاليد اللغوية المحافظة أكثر من اهتمامهم بالطفل وبقدرته على الفهم، وبضرورة التبسيط لمقصدية الفهم والتفاعل.

ومن جانب ثان، فإن مما يتصل بأبعاد أزمة اللغة في أدب الأطفال ضرورة الاعتراف بأن مشكلة العامية والفصحى في مجتمعاتنا تحتم الإسراع في إيجاد حل لأزمة اللغة المستخدمة في أدب الأطفال، مما يستلزم رفع الدعوات لاعتماد ما يسمى باللغة الفصحى المبسّطة؛ وذلك لأن العامية لا يمكن أن تكون لغة لأدب مكتوب؛ حيث إن اللغة العربية هي اللغة الرسمية ولا بد من اعتمادها وانتقاء تراكيبها البسيطة وألفاظها السهلة.

١- ذكاء الحر، الطفل العربي وثقافة المجتمع – عينات من قصص الأطفال، مرجع سبق ذكره، ص ١٤٥.

٢- ألفت حقي، ثقافة الطفل، مجلة عالم الفكر، المجلد (١٠)، العدد (٣)، ص ٦٥.

ومن جانب ثالث، فإنه لا بد كذلك من اعتماد التعابير التي من الممكن استخدامها لتكون اللغة السهلة والمبسّطة، وذلك من خلال أبحاث ودراسات علميّة لفهم النمو اللغوي عند الطفل، وفي كل مرحلة من مراحل عمره، وذلك بوضع قاموس لغوي للألفاظ التي يستخدمها الطفل في كل مرحلة من مراحل الطفولة بواسطة أبحاث مبنية على إحصاءات معمّقة، كما لا بد من البحث عن استعداد الطفل في كل مرحلة لتقبّل مفردات جديدة على قاموسه، ونوعية هذه المفردات، وذلك من خلال قوائم ولوائح لضبط قاموس الطفل اللغوي الذي يمكن اعتماده أساساً ثابتاً وسليماً في إنتاج أدب بلغة مناسبة على صعيد اللفظ والتركيب.

أما أزمة الرسوم والصور فهي تتعلق بالأسلوب والكمّ والإخراج والتنفيذ، ففي ظل ملاحظة وجود اهتمام كبير في الأدب الأجنبي المقدم للأطفال بالصور من حيث الأسلوب الواضح والمعبّر والموحي، ومن حيث الألوان المعتنى بانسجامها، بالإضافة إلى العناية بإخراج هذه الصور على أفضل ما يكون، في ظل ذلك فإنه في المقابل تجد الصور في الأدب العربي مهملة من حيث الإخراج، حيث الألوان باهتة، والرسوم يعوزها الوضوح والدقّة والجمالية، مع أن تنفيذ لوحة أو صورة لقصة موضوعة للأطفال لا بد أن تراعى فيها مسائل عدة كالنمو والاستعدادات النفسية والإدراكية والعاطفية.

إن الصورة المستخدمة في أدب الأطفال ليست لتزيين الكتاب ولا تكملة إضافية لها، بل إن دورها ووظيفتها المنوطة بها تتمثل في أن تضيف إلى القصة ما يحرّك القدرة على الفهم والتخيّل وتنمية الذوق الجمالي[1]، فالإنسان يتعلّم من الأشياء المصوّرة، كما أن الصور في شتى مظاهرها تحمل خبرات بشرية أقرب إلى الفهم والإدراك العام من الرموز الحسابية

١- ذكاء الحر، الطفل العربي وثقافة المجتمع – عينات من قصص الأطفال، مرجع سبق ذكره، ص ١٤٥.

المجرّدة، بل إن هذه الأمور الحسابية لا تدرك حق الإدراك في بادئ الأمر إلا إذا كانت مصحوبة بصور.[1]

إلا أنه لا بد من التأكيد على أن الرسوم يجب أن توحي معنى انفعالياً مجدداً، وهذا المعنى الانفعالي يختلف في حدته ودرجته تبعاً للموضوع والفكرة، وهذه المسائل أيضاً لا بد قبل القطع أو البت النهائي فيها من إجراء أبحاث ودراسات حول قدرات الطفل الحسية والجمالية، وحول الأساليب المؤثرة فيه أكثر من غيرها، والمساعدة على إيصال الهدف بشكل أفضل[2]، ولا يجب أن يغيب عنّا أن تأثر الأطفال بالصور ماثل ومرتبط بتأثرهم بالكتابة والكلام؛ إذ أن الصورة توضّح المعاني للأطفال وتطلق لخياله العنان، كما تمتاز الصورة على الكلمة بقوة تأثيرها وطول مدّة التأثر بها لسهولة فهمها[3].

إن ما وصلت إليه أزمة أدب الأطفال من أبعاد ارتبطت أسبابه بترك ثقافة الأطفال وأدبهم ينتج بشكل غير مبرمج، ودون أن يشعر هذا المجتمع بأن على عاتقه تحمّل هذه المسؤولية، والسعي إلى إنتاج أدب مناسب للأطفال، وذلك بسبب الفردية في الإنتاج، ومن خلال ذلك لا بد من التأكيد على أن المهمّات الملقاة على عاتق العاملين في ميدان أدب الأطفال لا يمكن أن يقوم بها فرد مهما بلغ من قدرات وطاقات وإخلاص وعلم وموهبة[4].

ويشير سيسليا ميرايل في كتابه (مشكلات أدب الطفل) إلى بأن أزمة

١- البسيوني – محمد، طرق تعليم الفنون، ط.٤، ١٩٦٥م، دار المعارف، القاهرة – مصر، ص ٥٤.

٢- ذكاء الحر، الطفل العربي وثقافة المجتمع – عينات من قصص الأطفال، مرجع سبق ذكره، ص ١٤٩.

٣- النعيمي – حازم، مجلات الأطفال ودورها في تكوين المفاهيم، العدد (٧)، ١٩٧٩م، دورية المستقبل العربي، بيروت – لبنان، ص ١٢٥.

٤- ذكاء الحر، الطفل العربي وثقافة المجتمع – عينات من قصص الأطفال، مرجع سبق ذكره، ص ١٤٥.

أدب الطفل تعتبر أزمة عالمية، كما يؤكد أنها ليست أزمة نقص، بل هي على العكس أزمة غزارة - كماً وتنوعاً - ومع ذلك كله يبدو الطفل في كل مرة أقلّ اهتماماً بالقراءة، وذلك في ظل وجود قنوات أخرى أصبحت مؤثرة في حياة الطفل ومالكة لجل أوقاته[1].

ويستقرئ إبراهيم محمود في كتابه «أدب الأطفال وواقع الأطفال» أبعاد أزمة أدب الطفل في الواقع المعاصر بالتأكيد على مدى هشاشة هذا المفهوم، ويتساءل حول مدى إمكانية أن يحظى مايقدم للأطفال بصفة الأدبية، أم أن ذلك وهمٌ كبير، لا سيما وأن الأدب المرتسم من خلال الأدب السائد يفتقر إلى الواقع الذي نصبو إلى العيش فيه أو إلى تحقيقه، إضافة إلى أن نعت الأدب بأنه أدب أطفال ينطلق من نعتنا له بذلك، وذلك بإسباغ هذا الوصف عليه من تصورنا الذهني والنفسي، وذلك عندما لا تنبع هذه الحقيقة من الواقع[2].

إذاً فالإشكالية وفق ما يراها إبراهيم محمد تتمثّل في كون الواقع الذي يعيشه الطفل غير مهيئٍ لأن تنتج أدباً يرتبط به الطفل في واقعه، لا سيما وأن هذا الواقع الذي يعيشه الطفل مكبّل بالكثير من الموروثات المتراكمة، وذلك بدلاً من توظيف الأدب لتهيئة العملية التربوية الصحية، والعيش بأمان، والإشباع النفسي، وكأنما ثمة حلقة مفقودة تمثّل الوصل بين الإنسان وواقعه، حيث لا إرادة لدى الطفل سوى إرادة الامتثال للأكبر منه، ولا إرادة له سوى إرادة التماهي مع النموذج المرسوم له، وهكذا تصبح كل المخطّطات والخطوات التي تُرسم للطفل، وما يقابلها من نمو جسمي وعقلي ونفسي واجتماعي مجرد شعارات مضلّلة.

١- سيسيليا ميرايل، مشكلات أدب الطفل، ت.مها عرنوق، ١٩٩٧م، سلسلة دراسات نقدية عالمية (٣٣)، منشورات وزارة الثقافة، دمشق – سوريا، ص ١٤٣.

٢- إبراهيم محمود، أدب الأطفال وواقع الأطفال في مجتمعنا، ثقافة الطفل – واقع وآفاق، مجموعة أبحاث تجميع. عبد الواحد علواني، ١٩٩٧م، دار الفكر، دمشق – سوريا، ص ١٢٨.

ثم يشير إبراهيم محمد إلى ما يمكّن من تحقيق الربط بين ما يكتب للطفل وما يعايشه في واقعه، وهو ضرورة أن يكتب هذا الأدب في مجتمع سليم يكون الإنسان فيه الأوّل والأخير من حيث القيمة، وهذا هو الذي من شأنه إيجاد طفولة صحيحة، لنكون في النهاية كباراً قادرين على الإبداع وكتابة أدب يمكن أن يسمى بالفعل (أدب الأطفال)؛ وذلك لأنهم قد عاشوا ويعيشون الطفولة الفعلية، وهذا يسمح لنا بالقول في النهاية، وهو قول حاسم: «أعطني أطفالاً حقيقيين، أهبك أدب أطفال حقيقي»[١].

ولعلي أوافق ما ذكره إبراهيم محمود من ضرورة أن يتوجه الكاتب بأدبه إلى أطفال حقيقيين، ولا بد أن يكون هو قد عاش بالفعل طفولة حقيقية حتى يقدّم أنموذجاً فريداً في أدبه، إلا أني أرى أن ذلك يعد متعذراً وفق معطيات الواقع، وأن تحقيق ذلك يستلزم في عصر العلم والتخطيط ألا تسير الأمور بطريقة عشوائية أو طبقاً لاشتراطات شخصية، حيث لم يعد ذلك مقبولاً رغم أنه هو السائد.

إن الأبعاد الخطيرة التي أفرزتها معطيات إهمالنا وارتجالنا في صياغة أدب الأطفال كفيلة بأن تشعل فينا تساؤلاً مفاده... هل آن الأوان لكي نسير في الطريق الصحيح نحو بناء المستقبل الثقافي والأدبي لأطفال الوطن العربي خاصة والإسلامي على وجه العموم، وهو في نظري اليوم يحتاج إلى جهد إقليمي تتضافر فيه جهود الخبراء في المجال، والمهم في ذلك كله أن نبدأ أولاً، لا سيما وأن الأبعاد التي أفرزتها تداعيات الواقع المعاصر قد أضحت تهدّد الطفولة العربية والإسلامية في مقتل.

وبناء على ما سبق، فإنه يمكن القول بأن أزمة أدب الطفل المسلم في الواقع المعاصر يمكن أن ترتبط بأبعاد تمثّلت في غياب الامتداد في التراث الأدبي الإسلامي من جانب، وعدم وجود تناغم مع المستجدات التي حققت نهضة

١- المرجع السابق، ص ١٣٨.

لأدب الطفل في الواقع المعاصر من جانب آخر، وذلك على نحو من شأنه أن يراعي خصوصية منظومة الثقافة الإسلامية، لا سيما وأن بحثنا عما كتب للطفل المسلم إبان أوج ازدهار الحضارة الإسلامية لم يتحقق بصورة جدية، فهو ما زال قابعاً في المخطوطات ولم نستثمر أي جانب منه سوى القشور التي تمثلت بها مبادئ النظرة للطفولة والأنسنة فيما سبقت الإشارة إليه. أما الجانب الآخر من الأزمة فهو يمثل الخطوة الثانية التي يمكن أن نستثمر من خلالها ما نمتلكه من ثروة أدبية فيما يتمثّل في العمل على إيجاد تناغم مع المستجدات التي حققت نهضة لأدب الطفل في الواقع المعاصر، لتلي هاتين الخطوتين خطوات، ولكن تبقى جميعها وفي مختلف مراحلها خاضعة للدراسة والتمحيص والتخطيط في زمن لم يعد فيه سوى التخطيط سبيلاً لتحقيق النقلات النوعية في حياة البشر في مختلف القطاعات.



الفصل الرابع

أدب الطفل المسلم
فنون ووسائط

يثار في ظل تعدد التوجهات التي يوظّف من خلالها أدب الطفل لتحقيق أهداف محددة حول مدى إمكانية القول بأن هناك ثمة صياغات عدة وقوالب يمكن أن توظّف من أجلها فنون ووسائط أدب الطفل، وذلك بحيث يمكن وصف هذا الأدب المقدم للطفل بأنه أدب بصيغة إسلامية، أو أدب بصيغة مسيحية، أو حتى أدب بصيغة غير ذلك من الديانات.

معلوم أن اللغة في الأدب توظّف بحبكة فنية من شأنها أن تعكس الإبداع في توظيف الكلمات والعبارات التي تكون بصورة مبسطة باعتبارها موجهة للأطفال، وبما أن الأدب يحمل خلف صياغته الفنية رؤى ومضامين ومواقف، فإن السؤال المثار في هذا النطاق هو: هل هناك أدب يقدم للطفل بصيغة إسلامية يمكن بناء عليه أن ننعته بأنه أدب موجه للطفل المسلم، وقبل ذلك هل هناك أدب يمكن نعته بأنه أدب إسلامي ومتميّز عن غيره من الأدب العام؟

أولاً: مفهوم أدب الطفل المسلم.

يذكر مأمون فريز جرار بأن مصطلح «الأدب الإسلامي» مرتبط، عند العديد من النقاد بأدب عصر النبوة والخلفاء الراشدين، ويضاف إليه عصر بني أمية، وهو ما يعني أن الأدب الإسلامي عند أولئك الدارسين أدب فترة لا أدب فكره. أما المفهوم الجديد الذي يعرضه عدد من الباحثين المحدثين لهذا المصطلح، فهو أنه أدبٌ معبّرٌ عن روح الإسلام وتصوّره للحياة ودور الإنسان فيها، وهذا التصوّر مستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ومنبثق عن بعد إيماني، وهو ما يعني توظيفاً للأدب من أجل خدمة المنظور الذي تعالجه النصوص الشرعية في صناعة العلاقة بين الإنسان والحياة.

ويؤكّد مأمون بأنه يمكن تمييز الأدب الإسلامي إلى حد بعيد بأنه أدب القيم، يعبّر عنها بصورة مباشرة أو بصورة غير مباشرة، وهو مايعني أن

الأدب متى ما جُرّد من القيم فإنه يصبح عبارات جوفاء لا تحمل مضموناً حقيقياً، وهذا ما يعني أن يكون الشعر موظفاً لخدمة الدعوة الإسلامية، وهو بذلك ضرب من الجهاد، حيث يكون الأدب وسيلة من وسائل الدعوة، ووسيلة من وسائل الالتزام بالإسلام نفسه.

ويشير من جانب آخر إلى أن هناك ارتباطات لظهور الدعوة بالأدب الإسلامي، مبرراً ذلك بأن المذهبية النقدية لم تظهر في تاريخنا النقدي إلا بعد اتصالنا بالحضارة الغربية في العصر الحديث، وأن اطلاعنا على ما لدى الغربيين من مذاهب أدبية أدى إلى تبنّي كثير من الأدباء المسلمين لها، سيّما وأن هذه المذاهب تستند إلى فلسفات، وتنبع من تصورات، لا للفن وطبيعته فحسب، بل للكون والإنسان والحياة[1].

ولعل ما يوضح ما أشار إليه مأمون أن ظهور ما يمكن نعته بالأدب الإسلامي كان بمثابة رد فعل على الانفتاح والتبنّي غير المتعقّل للمذاهب الأدبية التي سادت في العالم الغربي، والتي لم تكن مذاهب فنية فحسب، بل مذاهب ترتبط بمضمون النظرة إلى الكون والحياة، والتي يتعارض جانب كبير منها مع النظرة التي قررتها النصوص الشرعيّة المرعيّة، مما يستلزم تحصين الأدب الذي ينتجه الأدباء المسلمون ويتوجّهون به إلى المجتمع ضد هذه المذاهب التي قد تتعارض مع القيم التي قررتها مبادئ الإسلام.

ويقرر نجيب الكيلاني ما يؤكد كلام مأمون بأن ربط الأدب بالإسلام ربط نابع من صميم الإسلام، وأن ذلك مرتبط بوقاية أجيالنا المحاصرة من السقوط في براثن تيه الفلسفات التي تعد بالمئات، ليتحرّك الأدب الإسلامي وسلاحه الكلمة الطيبة لمواجهة ذلك باعتبار ارتباط تأثير الأدب في الأحاسيس، واستحواذه على الانفعال، وهذا ما استلزم ارتباطه بالقيم

١- مأمون فريز جرار، خصائص القصة الإسلامية، ط.١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة – السعودية، ص ١٣.

والأخلاق، بما يتلاءم مع اقتناعات الفنان الروحية الحية؛ ليخدم الخير ويكافح الشر.

إن الأدب الإسلامي يؤكد مضمونه الفكري النابع من قيم الإسلام العريقة، ويجعل من ذلك المضمون ومن الشكل الفني نسيجاً واحداً معبّراً أصدق تعبير؛ ليعوّل كثيراً بعد ذلك على الأثر أو الانطباع الذي يترسّخ لدى المتلقي، ويتفاعل معه، ويسهم في تشكيل رؤاه ومواقفه وسلوكاته في الحياة.

وعند الكيلاني، فإن الأدب الإسلامي يمتاز بالشمولية، فهو:

- تعبير فني جميل مؤثر.
- نابع من ذات مؤمنة.
- مترجم عن الحياة والإنسان والكون.
- وفق الأسس العقائدية للمسلم.
- باعث للمتعة والمنفعة.
- محرّك للوجدان والفكر.
- محفّز لاتخاذ موقف والقيام بنشاط ما[١].

ولعل ما يمكن استخراجه مما سبق استعراضه حول مفهوم الأدب الإسلامي أن أبرز ما يميّزه لا يرتبط إلى حد كبير بالجوانب الفنيّة فحسب، بل يتصل بالمضمون والتوظيف في قالب إيماني يعبّر عن نظرة إسلامية من خلال رؤية أدبيّة لقيَم الحياة، ولتفاعلات المجتمع، ثم إن ارتباطه بالظهور كمصطلح تمثل رداً على ما اختلط به توظيف الأدب في الغرب من خلال النظريات الإلحادية، فكأنه جاء رداً يبين خصوصية ما ينبغي أن يوظّف من أجله الأدب من الأديب عندما ينظم أدبه، ولعل قوة ارتباط توظيف الأدب لخدمة الإسلام يمكن أن يكون لها تأثير قد ينعكس على الصياغة الفنية

١- الكيلاني – نجيب، مدخل إلى الأدب الإسلامي، مرجع سبق ذكره، ص ٣٢.

للنص؛ ليبرز خصوصية يمكن نعتها بالأدب الإسلامي.

أما من حيث ارتباط الأدب الإسلامي بأدب الطفل، بمعنى تصنيف الأدب المقدّم إلى الطفل إلى أدب طفل مسلم وإلى غير ذلك، فهو الآخر نابع من المضمون والتوظيف الذي يتبنّاه الأديب في نظمه لأدب الأطفال، فعندما يغرس من خلال أدبه قيماً، فإن هذه القيم ترتبط بالجانب التعبّدي الراقي الذي قررته الدلالات الشرعية؛ لتكون الروح المعبّرة عن هذه النصوص الموجّهة للطفل متمثّلة في روح الإسلام وروعته، وبذلك يمكن نعت أدب الطفل بأنه أدب للطفل المسلم عندما توظّف نصوصه وعباراته لغرس القيَم والمبادئ الإسلامية.

ويشير سعد أبو الرضا إلى أن أدب الأطفال الإسلامي هو ذلك الأدب الذي يتضمّن الكلام الجيّد الجميل الذي يحدث في نفوس الأطفال متعة فنيّة، ويسهم في إثراء فكرهم، سواء أكان أدباً شفويّاً بالكلام، أم تحريرياً بالكتابة، وقد تحقّقت فيه مقوماته الخاصة من رعاية للتصوّر الإسلامي ولقاموس الطفل، وتوافقٍ مع الحصيلة الأسلوبية للسن التي يكتب لها، أو اتصل مضمونه وتقنياته بمرحلة الطفولة التي يلائمها، وهو ما يعني وفق المفهوم الذي يقرّره سعد أبو الرضا بأن القضية تتمثّل في أن أدب الأطفال أدب واحد فيه الكلمة البسيطة الجزلة، لكن نقطة الافتراق تتمثّل في المضمون والتوظيف المرتبط بالتناسب الأخلاقي الإسلامي، أو حتى تعليمية، حيث يشتمل مضمونه على ترسيخ العقيدة وتنمية التفاعل مع تعاليم الإسلام[1].

١- سعد أبو الرضا، النص الأدبي للأطفال – أهدافه ومصادره وسماته – رؤية إسلامية، سلسلة رابطة الأدب الإسلامي العالمية – مكتب البلاد العربية (٥)، ط.١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، دار البشير للنشر والتوزيع، عمّان – الأردن، ص ٢٥.

ثانياً: مصادر أدب الطفل المسلم

يشير سعد أبو الرضا بأن مصادر أدب الأطفال التي يفيد منها الكتّاب متعدّدة تتباين من خلالها درجة توظيف للمادّة المستثمرة، كما تختلف وسائل التوظيف في ذلك، هذا فضلاً عن أن هذه المصادر إما مصادر إسلامية، وهي التي من شأنها أن تبرز خصوصية لأدب الطفل المسلم، وإما غير ذلك كالترجمة والتراثيات وغيرها.

● **المصادر الإسلامية**: يأتي المصادر الإسلامية التي يمكن أن توظّف في دعم أدب الأطفال القرآن الكريم، والذي يتميز بالثراء الفني والموضوعي باعتباره كلام رب العالمين جل في علاه، حيث يمكن الاستفادة من قصَصه لتبسيطها في أدب الأطفال، وذلك من خلال ما حوته من قيَم، وما جسّدته من مبادئ أخلاقية. كما يمكن للقصص القرآني إذا أحسن استثماره فنيّاً، وتوظيفه فكريّاً وثقافيّاً في هذا المجال، أن يستثير لدى الأطفال من الخيال ما ينمّي لديهم هذا الاتجاه، فيعينهم على إذكاء تصوراتهم، واستحضار الكثير من الصور التي تنمّي خيالهم، مما يساعدهم على حسن مواجهة الحياة بمشكلاتها، والتفكير السليم في قضاياها، والتمتع بمظاهر الجمال السويّة في الحياة.

ومن نماذج المجموعات القصصية التي استفادت من القرآن باعتباره مصدراً لأدب الأطفال (مجموعة القصص الدينية) بإشراف محمد أحمد برانق، ومنها: (قابيل وهابيل، وسبأ، وذو القرنين، وموسى والخضر، وغيرها)، وقد بلغت عشرين قصّة، وتميزت بتقديم الشخصيات بشيء من التحليل الكاشف عن أبعادها وتفاعلها مع البيئة والمتغيرات من حولها، كما ساد القصّة سرد للأحداث التي تنتمي إلى السيرة والتاريخ. وللكاتب كذلك مجموعة قصصية أخرى تستعرض قصَص الأنبياء، وهي تتميّز بالبساطة والسهولة، وتتناسب مع أطفال المرحلتين المتوسطة والمتأخرة، وهي تكشف

عن صراع هذه الشخصيات ضد الشر، وإبراز كفاحها وتأييد الله تعالى لها كنماذج خيّرة. هذا بالإضافة إلى مجموعات قصصية أخرى للكاتب اعتمدت على القصص القرآني عندما قدّمته في قوالب تتناسب مع سن الأطفال، مستثمرة في ذلك الفكرة التهذيبية التي تقررت في النصوص القرآنية القصصية. وهناك كثير محاولات كثيرة عملت على استثمار القصص القرآني.

إلا أن مما ينبغي الإشارة إليه ضرورة ألا يؤثّر التوظيف في أدب الطفل إلى انتهاك وخلخلة لبنية القصة أو تهديداً لنموها، وذلك بحيث يتمّ توظيف هذه النصوص بنجاح، وهذا ما يتطلّب مهارة وخبرة قادرة على تحصيل هذا الدمج الذي من شأنه تقرير جانب الملاءمة الأدبية، وذلك بحيث لا يتحقق الإثراء في الجانب الثقافي على حساب الجانب الفني الجمالي[١].

أما السيرة النبوية والحديث الشريف فيمكن اعتبارهما مصدراً آخر من مصادر أدب الأطفال، حيث اعتمد عليها كثير من الكتاب لما تتضمنه من أحداث وبطولات مادّية ومعنوية من شأنها أن تجتذب اهتمامات الأطفال، وتلبّي أشواقهم للمغامرة والبطولة، حيث تجلّى فيها من القيَم والمبادئ ما يشبع حاجتهم النفسية. أما بالنسبة للحديث الشريف فهو مصدر ثري بالحكمة والموعظة، وكثيراً ما يعتمد في إبرازها على الصورة الموجزة والقصّة المختصرة، واللمحة الكاشفة، والمقابلات اللغوية الفنية، وفي ذلك ما يعين الكتّاب على الجانبين: (الموضوعي والفني)، وهناك مجموعات قصصية استمدّت من هذا المصدر مثل المجموعة القصصية لمحمد برانق عن أمهات المؤمنين (رضي الله عنهن أجمعين). كما أن هناك جوانب أخرى لتقديم السيرة الكريمة وحديث الرسول ﷺ وتوظيف الحوار بجوار السرد

١- المرجع السابق، ص ٤١.

للكشف عن جوانب عديدة من عظمة المصطفى (صلى الله عليه وسلم)، ومن ذلك مجموعات منها: (محمد خير البشر) لعبد التواب يوسف، والتي بلغت خمسة عشر نموذجاً تناولت محطّات من حياة المصطفى (صلى الله عليه وسلم)، وذلك من خلال توظيف الأحداث والمواقف في بنية فنية تقنع المتلقي بالصفة المتحدّث عنها من صفات الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وتذكي فيه روح الإعجاب به باعتباره قدوة وصاحب رسالة وذا سلوك مثالي فريد. هذا بالإضافة إلى نماذج أخرى تعلي من الجوانب التثقيفية والفنية والمعرفية، كما تنمّي ملكة الطفل في التذوّق والقراءة، والتحصيل والاستيعاب، وتعمل على تبسيط هذه المصادر لجعلها في مستوى الأطفال؛ تأكيداً للأهداف التعليمية، وابتغاء لتحقيق الغايات التربوية.

● **المصادر التراثية والترجمة والمتغيرات:** من المصادر التي من شأنها أن تثري أدب الطفل المسلم المصادر التراثية التي وردت عن السلف، والتي منها ما هو عربي أصلاً ككتاب (نهاية الأرب) للنويري، و(الأغاني) لأبي الفرج الأصبهاني، و(البخلاء) للجاحظ، و(مقامات) بديع الزمان الهمذاني وغيرها كثير مما يمكن تبسيطه – باعتباره كتبا للكبار – ونقله للصغار، ومنها ما هو غير عربي ترجم للعربية ككتاب (كليلة ودمنة)، وكتاب (ألف ليلة وليلة)، وكلا القسمين أفاد منهما الكتّاب في أدب الأطفال. ومما لا شك فيه أن التوظيف في هذه المصادر نشأ في ظل اعتماد المصادر الإسلامية فتأثّر بها، إلا أنها تحتاج إلى لمسة لتكون متناغمة مع معطيات الواقع المعاصر، وهناك نماذج كثيرة استفادت من المصادر التراثية واستطاعت أن توظّفها وفق ما يتساوق مع معطيات الواقع المعاصر، سواء ما كان منها عربي النشأة أو مترجماً[1].

وعلى الرغم من أن هذه المصادر التراثية ذات صلة وثيقة بالمصادر

١- المرجع السابق، ص ٤٨.

الإسلامية، حيث نشأت في ظلها، وتأثّرت بها سلباً أو إيجاباً، إلا أن هذه المصادر جسّدت أهم مقوّمات القيم؛ وذلك لما لها من دور أخلاقي وتربوي وفني جلي في كتابة أدب الأطفال، وما يتصل بها من أثر واضح في الثقافة بصفة عامة.

ومن الجدير بالذكر أن هناك تعدداً في النماذج التي اعتمدت على هذه المصادر التراثية اقتباساً أو تلخيصاً أو تبسيطاً، كما كانت هناك محاولات في توظيف المادة التراثية في أشكال فنية تناسب مستويات مرحلة الطفولة. فبالنسبة للمصادر التراثية العربية فهناك (نوادر جحا) التي كانت قد شغلت حيّزاً في التراث، وجرى توظيفها ضمن نطاقات متعدّدة بأنماط مختلفة حسب الغاية التي وظّفت من أجلها؛ وذلك إما لتحقيق الفكاهة أو النقد الاجتماعي أو السياسي، وقد كان من أوائل من كتب في نوادر جحا من المعاصرين محمد الهراوي وكامل الكيلاني، هذا بالإضافة إلى مبادرات أخرى لإحياء هذه النوادر والتي تم تزويدها بالرسوم وإن كانت قليلة، غير أنهالم تحظ بالعناية من حيث التصنيف أو الترتيب الفني الذي يقوم على أساس عنصر الزمان أو المكان أو طبيعة المفارقة مثلاً، بحيث تسهل الاستفادة منها ودراساتها. أما بالنسبة للمصادر التراثية غير العربية فقد حاول وصفي آل صفي تقديم حكايات (كليلة ودمنة) في سلسلة أصدرتها دار المعارف بالقاهرة منها: (عين القمر، وخدعة دمنة، وحيلة الغراب)، وعمل الكاتب على تلخيصها من ارتباطها بغيرها في قسمها من الكتاب الأصلي، ومن ثم العمل على صياغتها مجرّدة من الأمثال الكثيرة المتصّلة بها، محققاً لها وحدة الحدث لتقديمها في كتيب خاص بها، وهو بذلك يفض ما بين قصص كل باب في النسخة الأصلية من تشابك واتصال غير فني حتى يتمكّن الأطفال من استيعاب القصة المختارة، وتبدو في شكل فني ملائم، مع المحافظة على الهيكل العام للقصة المفردة بعد تخليصها من ارتباطها بغيرها، بالإضافة إلى تغييرات كثيرة لجعل القصة ملائمة من

حيث الشكل والمضمون للطفل في الواقع المعاصر.

كذلك من المصادر التراثية غير العربية التي أثّرت في أدب الأطفال في الواقع المعاصر (ألف ليلة وليلة)، والتي تمثّلت من خلالها شخصيات السندباد وعلاء الدين وعلي بابا التي أصبحت ذائعة الصيت على مستوى آداب الأطفال، وقد كان من أوائل الكتاب الذين استفادوا منها كامل الكيلاني، الذي كتب منها قصصا عديدة، وفي مقدمتها: (باب عبد اللّه والدرويش، وأبو صير وأبو قير، وعلي بابا، وعبد اللّه البري وعبد اللّه البحري، وغيرها)، وقد أفرد لكل قصة كتيّبا بعد أن عمل على تلخيصها وفكّها عن ارتباطها بغيرها كما كانت ترويها شهرزاد، حيث صاغها الكاتب بأسلوب بسيط مقسّمة إلى أقسام متتابعة، وقد امتازت صياغات كامل كيلاني لهذه المجموعة باليسر والسهولة والوضوح، وذلك على الرغم من قلّة الصور بها، وظهور شيء من الاهتمام بالجوانب الأدبية فيها بصورة واضحة.

أما الترجمة باعتبارها أحد مصادر أدب الأطفال، فقد ظهرت من خلال ما ترجم للكبار ثم قدّم للأطفال اقتباساً أو تبسيطاً أو تلخيصاً، أو من خلال النماذج التي ترجمت للأطفال مباشرة لأنها ألّفت أصلاً لمستوياتهم في لغات غير عربية، وقد كانت باكورة العناية في ذلك متمثّلة في جهود رفاعة الطهطاوي[1] – كما سبقت الإشارة إلى ذلك – والذي اعتنى بأدب الأطفال في فرنسا، حيث كان مزدهراً آنذاك، هذا بالإضافة إلى جهود أخرى سبقت الإشارة إليها.

ويذكر سعد أبو الرضا في كتابه الذي تناول فيه رصداً وتحليلاً لأدب الأطفال في الواقع المعاصر، والذي ألّفه في العام ١٩٩٤م أن آخر ترجمة لأدب الأطفال صدرت في الكويت في العام ١٩٨٣م – أي قبل ١١ عاماً من

١- المرجع السابق، ص ٦١.

تأليفه لكتابه – وقبلها قدّم آل وصفي سنة ١٩٧٣م (جلفر والعمالقة)، وهو ما يعني أن الجهود المبذولة في الترجمة جهود عقدية – كل عشر سنوات تقريباً – وذلك ضمن سلسلة (قصص عالمية للأطفال) تحت عنوان (رحلة في بلاد الأقزام).[١]

أما بالنسبة للمتغيرات باعتبارها مصدراً من مصادر أدب الأطفال، فقد أشار أبو الرضا إلى أنها تتمثّل في كافة العوامل والملابسات التي جعلت أدب الطفل، على هذا النحو من الاهتمام به، ملمحاً ثقافياً حضارياً؛ لذلك يمكن اعتبار العناية بأدب الأطفال نفسه متغيراً من هذه المتغيرات؛ ذلك أن رعاية الطفل من النواحي النفسية والتربوية والإبداعية لم تكن بذات قيمة عند الكبار قبل العصر الحديث، كما أن المجتمع العربي كان مجتمع الرجل الذي تدور حوله الفنون والآداب، ومن ثم فقد أصبح أدب الأطفال حبيس المنازل الذي لا يحيا إلا عند الأمهات والمربّيات والخدم إن جاز لنا أن نسمّي ما كان موجوداً من حكايات وهدهدات وترنيمات أدباً للأطفال.

ثم يستطرد في وصف الجهود التي بُذلت من شوقي والكيلاني ونجيب من أجل تحقيق نهضة في أدب الأطفال في تلك الحقبة فينعتها بأنها جهود لم تحقّق المجد الأدبي المنشود لأدب الطفل، حيث كان السائد النظر إلى من يكتب أدباً للأطفال بالاستخفاف والإهانة، ودليل ذلك أنه كان هناك من يخفي اسمه وهو يكتب في هذا الفن في أدبنا العربي وغيره من الآداب الأجنبية في مطالع عصر النهضة، وذلك على الرغم من أن الإسلام قد أوصى بالكثير من المبادئ والقيَم التي تولي قدراً كبيراً من الرعاية والعناية بالطفل، إلا أن تحمسّنا لأدب الأطفال لم يبدأ إلا بعد أن قطع الغرب شوطاً كبيراً في تطويره والاهتمام به، عندئذ بدأ وعينا وإدراكنا لأهمية الرعاية النفسية والتربوية والإبداعية للطفل، حيث اقترن بذلك

١- المرجع السابق، ص ٦٦.

الكثير من التطورات التي تفاعلت معها الثقافة بصفة عامة، والأدب بصفة خاصة، كازدهار التعليم ورقي الوعي، وسرعة الاتصالات على مستوى العالم، وتحقّق النقلة الهائلة من الأرض إلى الفضاء، والتي كان لها دور فيما سُمي بأدب الخيال العلمي الذي تجاوز الكبار إلى الصغار، هذا فضلاً عن متغيرات عديدة أسهمت في صناعة نظرة أخرى لأدب الطفل في الواقع المعاصر. وهناك نماذج لأدب الأطفال رصدت هذه المتغيرات وحاولت من خلال التعبير الجميل الملائم لمستويات الأطفال أن تُثري ثقافتهم وتصلهم بكثير من المتغيرات، وتحقّق ما نبتغيه من الأدب لأطفالنا من رقي الفطرة، ومتعة الوجدان، وسعة الخيال وعمقه، وتهيئتهم لمواجهة حياتهم بمتغيراتها مواجهة سوية[1].

وبذلك فإن المصادر الإسلامية تعتبر هي أبرز ما يحقّق الخصوصية للأدب الذي يقدّم للطفل المسلم، وكلها تبرز خصوصية في المضمون والتوظيف، ولا ترتبط بخصوصية تتحقّق من خلال آليات البناء الفني، وهو ما يعني أن آليات البناء الفني لا تعتبر جانباً مميزاً لأدب الطفل المسلم.

إن الأدب الذي يقدّم للأطفال ينبغي أن يكون معبّراً عن خصوصية المجتمع الذي ينشأ فيه وعن هويته، فلا بد أن يوجّه للطفل بلغته التي امتد وتجذّر من خلالها، ويحتوي على مضامين ثقافية وقيَمية ترتبط بمعتقده وثقافته وانتمائه، ولا شك أن تحقيق ذلك يرتبط إلى حد كبير بجانب الجاذبية التي يتحقّق من خلالها استقطاب الطفل للأدب المقدّم إليه، وذلك من خلال قوالب كفيلة بأن تشدّ انتباهه، حيث يتحقّق تعريفه بالمضمون القيَمي والثقافي المقدّم في العمل من خلال هذا القالب الجذاب المتناغم مع المستجدات المهيمنة على الساحة، وهو جانب يستفيض فيه القول ضمن الفصل اللاحق بحول الله وقوته.

١- المرجع السابق، ص ٦٩.

ويتضح مما سبق بأن الأزمة التي يعاني منها أدب الطفل تتّسع لتستوعب النطاق العالمي كما أشار إلى ذلك سيسليا ميرايل في كتابه (مشكلات أدب الطفل)، وأن الأزمة ليست أزمة نقص، بل هي، على العكس، أزمة غزارة كماً ونوعاً، ذلك أن الطفل على الرغم من ذلك يبدو في كل مرّة أقل اهتماماً بالقراءة، وذلك في ظل وجود قنوات أخرى توهمه بأنها أكبرجدوى بالنسبة إليه.

فالأزمة إذاً في أدب الطفل عالمياً تتمثّل في النطاقات التي يوظّف أدب الطفل من خلالها، وإن الأدب العربي الذي يقدّم للطفل، رغم هذه الأزمة، يغيب عن دائرة المنافسة للأدب الغربي الذي أصبح توظيفه جذّاباً للطفل؛ وذلك نظراً لكون هذا التوظيف يتحقّق من خلال تفهّم لاحتياجات الطفل واهتماماته، وإن ابتعد في بعض الأحيان عن توظيف المضمون النافع والمجدي الذي من شأنه أن يحقّق تخصيباً لمعرفة الطفل وثقافته، وقبل ذلك منطقه الأدبي واللغوي.

أما بالنسبة لما يمكن وصفه ونعته بأدب الطفل المسلم، والذي نستهدف من خلال هذه الدراسة تنمية جوانب الخصوصية والإبداع فيه، وذلك من خلال تبنّي استراتيجية جادة يتحقّق من خلالها ربط الثقافة الإسلامية بالبعد التربوي والسلوكي والقيَمي، فإنه من حيث التفرّد والتميّز يمكن نعت جانب مما يقدّم للطفل من أدب بأنه أدب طفل مسلم، وذلك باعتبار ما يمتاز به هذا الأدب من خصوصية في المصادر، وخصوصية في المضمون الذي يوظّف من أجل تحقيق أهداف ترتبط بمنظومة الدين الإسلامي في شموليته ونظرته للإنسان وعلاقاته بالكون والحياة، كما يمكن الإقرار بوجود هذا الضرب من الأدب باعتبار ما انعكس عليه من خصوصيات فنية وجمالية، سواء من خلال استثمار الصياغة الراقية للقرآن الكريم، أو من خلال توظيف النصوص والأحداث الواردة في السيرة النبوية والحديث

الشريف، أو من خلال إعادة صياغة روائع التراث العربي والمعرّب صياغة تتناغم وتتناسب مع فكر الطفل وتتناسب مع توجهه في الواقع المعاصر، وذلك من خلال تحقيق الملاءمة الكفيلة بتحفيز الإقبال على هذا الأدب.

إذاً ما نستخلصه من خلال ذلك أن هناك جهوداً واضحة لا يمكن أن تنكر.. من شأنها أن تبرز خصوصية أدب الطفل المسلم، سواء من الناحية الشكل أو المضمون، والتي وظّف من خلالها استثمار المصادر الإسلامية والتراث الذي عرفنا جزءاً يسيراً منه، حيث أن غالبه ما زال قابعاً في المخطوطات، كما لا بد من التأكيد بأنه لا يمكن أن نصف التوظيف لما ورد في تراثنا الإسلامي بأنه توظيفٌ حقيقيٌّ وفعليٌّ؛ لتبقى الجهود المبذولة في هذا النطاق جهوداً مبعثرة وغير ذات جدوى على النحو الذي يرنو إليه الطموح.

وبذلك، فإن ما يمكن أن يوسم بالخصوصية موجود، وما يمكن نعته بأنه أدب مقدّم للطفل المسلم برزت له مبادرات لا يمكن الاستخفاف بها أو إنكارها، ولكن المطلوب لايقتصر على الوجود والكينونة فقط، بل المطلوب إيجاد أدب يمتاز بالخصوصية التي توظّف من خلال تخطيط استراتيجي مدروس من شأنه أن يولّد جهداً تنافسياً يبرز خصوصية إبداعية، ولا سبيل لذلك إلا من خلال تبني منهجية التخطيط لبناء هذه الخصوصية في الإبداع في أدب الطفل المسلم، وعندها ينبغي أن نثير تساؤلاً مفاده... كيف نخطط لأدب الطفل المسلم من خلال تحقيق استراتيجية مستدامة تعكس خصوصية الإبداع في ذلك ؟، وحتى نجيب على هذا التساؤل ضمن الفصل اللاحق لا بد أن نقرّر بأن تحقيق ذلك يستلزم معالجة عدد من المحاور المرحلية تتمثّل من خلالها تحقيق نقلة نوعية لأدب الطفل المسلم من خلال استراتيجية التخطيط نحو الخصوصية والإبداع معاً، وذلك من خلال المراحل التالية:

- استقراء أدب الطفل السائد والذي يعتبر جذاباً بالنسبة للأطفال.
- تحليل معطيات الجذب التي جعلت الطفل المسلم مرتبطاً بهذا الضرب من الأدب للتعرف على مضمونه، ووسائل تجويده، وأهداف توظيفه.
- في ذات الوقت الذي يجري فيه الاستقراء لأدب الطفل السائد والتحليل لمعطيات الجذب فيه، فإنه لا بد من العمل على لملمة الجهود المبعثرة التي تم من خلالها تقديم أدب الطفل للطفل المسلم، ومن ثم العمل على استقراء قنوات الجذب الموظّفة من خلالها؛ وذلك من أجل مقارنتها مع قنوات الجذب الموظّفة في الأدب السائد.
- تحقيق معرفة استيعابية لجوانب القصور بين السائد الذي يجذب انتباه الطفل، وجوانب التخلّف والجمود في القوالب التي يوظّف من خلالها أدب الطفل المسلم.
- عندئذ يمكن تبنّي استراتيجية جادّة ومستنيرة يمكن من خلالها تنمية جوانب الخصوصية والإبداع في أدب الطفل المسلم، وذلك من خلال ربط الثقافة الإسلامية بالبعد التربوي والسلوكي والقيَمي.

وبهذه الخطوات المرحلية التي ينبغي أن يتحقّق تبنّيها على المستوى الإقليمي، يمكن أن نصنع أدباً من شأنه أن يبرز جيلاً من الأمة قادراً على تفهّم معطيات الواقع لوضع استراتيجيات المستقبل، فمهما سرى الإحباط في الجيل الحاضر للأمة، فإن الأمل ينبغي أن يبقى معقوداً في كل الأحوال في الأطفال قبل الشباب، وهو ما يقرّر بأنه في ظل الأزمة التي يعيشها أدب الطفل المسلم في الواقع المعاصر، فإن الإبداع والخصوصية في فنون أدب الأطفال بصيغتها الإسلامية ليس صعب المنال، ويمكن تحقيقه من خلال التخطيط الذي يستهدف صناعة الخصوصية والإبداع في هذا الحقل الحيوي.



الفصل الخامس

تنمية جوانب الخصوصية والإبداع في أدب الطفل المسلم

من أجل أن تكون للمؤتمرات والفعاليات الدورية التي تعقد لتنمية جوانب الإبداع في أدب الأطفال في مجتمعاتنا قيمتها ودورها التنموي، فإنه لا بد من تحقيق ربط بين التطلّعات والآمال المرتبطة بالتنظيرات المقترحة من جانب وبين ما يترجم على أرض الواقع من جهود مبعثرة وعشوائية وارتجالية غير مؤثّرة من جانب آخر؛ وذلك لأنها غير منمّطة وغير قائمة على التخطيط وفق ما تقرّره معطيات ظروف العصر ومتغيّراته وتجديداته التي باتت تستلزم بناء منظومة تخطيطية لاحتواء الأزمة التي يعيشها أدب الطفل.

ومن أجل تنمية جوانب الخصوصية والأصالة والإبداع في أدب الطفل المسلم في ظل التعقيد الذي يشهده الواقع المعاصر، فإن الحل يتمثل في تبنّي استراتيجية جادّة – على النطاق الإقليمي – بجهود رسمية، ومدعومة بجهود أهلية؛ لتكون هي المحرّكة للتخطيط المحكم القادم لتنمية جوانب الخصوصية والإبداع في أدب الطفل؛ والعمل على تحقيق ذلك بربط الثقافة الإسلامية من خلال القوالب الأدبية التي تقدم للطفل بالبعد التربوي والسلوكي والقيَمي، سيما وأن أدب الأطفال في المقام الأول أدب تقرّر الاهتمام به باعتباره محور بناء الإنسان وصقل شخصيته وملكاته الفكرية من أجل تحقيق الإنضاج الإيجابي له في المجتمع.

ومن أجل ذلك، فإن ما نلقي عليه بعض الضوء ضمن هذا الفصل يتمثّل في الخطوات المرحلية التي يمكن من خلالها تحقيق التخطيط الجدّي والناجع بدلاً من الخطوات المبعثرة التي قضت نحبها في تلك العقود السالفة من القرن الماضي، وإن كنت أرى أن تكون هذه الجهود جانباً يُستفاد منه ضمن مراحل هذه الاستراتيجية باعتبارها خلفية تاريخية وامتداداً لمعطيات الواقع في تداعياته وأبعاده. هذا فضلاً عن تناول ما نرى أنه ينبغي أن يتأطّر الأدب ضمن إطاره؛ لنصل في نهاية الأمر إلى تحقيق ما نطمح إليه من خلال صناعة احترافية لخصوصية الإبداع في القوالب التي يقدّم من خلالها الأدب للطفل المسلم.

إن هذا التخطيط المرحلي الذي يستهدف تحقيق نقلة نوعية تحوّل أدب الطفل في مجتمعاتنا من أدب يعيش أزمة إلى أدب يعيش تنامياً تصاعدياً يتحقّق من خلال العديد من الخطوات التي يبدأ أولها باستقراء أدب الطفل السائد الذي يعتبر جذاباً بالنسبة للأطفال، ومن ثم العمل على تحليل معطيات الجذب التي جعلت الطفل المسلم مرتبطاً بهذا الضرب من أدب الطفل للتعرف على مضمونه، ووسائل تجويده، وأهداف توظيفه. وفي ذات الوقت، لا بد من العمل على لملمة الجهود المبعثرة التي تم من خلالها تقديم أدب الطفل للطفل المسلم، والعمل على استقراء قنوات الجذب الموظّفة من خلالها؛ وذلك من أجل مقارنتها مع قنوات الجذب الموظّفة في الأدب السائد؛ وكل ذلك من أجل تحقيق معرفة استيعابية لجوانب القصور بين السائد الذي يجذب انتباه الطفل من جانب، وجوانب التخلّف والجمود في القوالب التي يوظّف من خلالها أدب الطفل المسلم من جانب آخر. وعندئذ يمكن تبنّي استراتيجية جادّة يتحقق من خلالها تنمية جوانب الخصوصية والإبداع في أدب الطفل المسلم، وذلك من خلال ربط الثقافة الإسلامية بالبعد التربوي والسلوكي والقيَمي.

ومن خلال هذه الاستراتيجية المرحلية وفق الخطوات آنفة الذكر، يظهر عدد من المحاور والتطلّعات التي نطمح لها كثمرة يانعة لهذه الاستراتيجية المرحلية التي لا بد أن تتحقّق من خلال خطوات مرحلية، وأن ترتبط بخطة زمنية مدروسة، وأن تكون قائمة على المؤشّرات الإحصائية الدقيقة، وأهم من ذلك جميعه أن يكون هناك برنامج مستدام يكفل الحفاظ على ما تحقّق، والعمل على تبنّي خطط قصيرة وبعيدة المدى لضمان تصاعدية الانتعاش الذي سيشهده أدب الطفل من خلال تبنّي هذه الاستراتيجية المرحلية، وذلك من حيث فئة المهتمين به، ومن حيث المادّة التي تقدّم في هذا الحقل، ومن حيث درجة تأثير هذه المادّة في صقل شخصية الطفل وملَكاته، وقياس

جانب التفاعلية من قبل الطفل به، ومن دون ذلك لا يمكن أن نحقق صناعة احترافية لأدب الطفل في المجتمع المسلم.

ثم إن هناك طموحات نتطلّع إليها من خلال تبنّي هذه الاستراتيجية بعيدة المدى في تحقيقها لنقلة نوعية من شأنها إبعاد شبح الأزمة الجاثم منذ عقود، وهذه التطلّعات لا ترتبط بزمن ولا تقع تحت حصر، بل هي تبقى متجدّدة ومرتبطة بالمتغيرات والمستجدّات لتواكبها جملة وتفصيلاً.

أولاً: التخطيط المرحلي الاستراتيجي.

إن كلمة استراتيجية لفظ معرّب لكلمة (strtegie) الفرنسية أو (strtegy) الإنجليزية، وأصلها في هاتين اللغتين من الكلمة اللاتينية (strategos) من (stratus) وهو الجيش، وهي تعني فن قيادة الجيش أو فن القيادة بشكل عام، حيث اتسع نطاق الكلمة بعد ذلك ليستوعب فن القيادة خارج المعركة، واتسعت دائرة استعمال المصطلح في العصر الحديث ليصبح دالاً على قواعد التخطيط أو فنون التدبير في جميع مجالات الحياة.

إن الاستراتيجية تختلف عن التكتيك الذي يعني فن تنفيذ الخطط، وتعني الاستراتيجية حالياً فن تنفيذ التخطيط من خلال استخدام كل الوسائل والمعارف والمواد لتحقيق أهداف معينة، وذلك من خلال التكامل والتداخل بين الأهداف والوسائل، وبين النظرية أو الرؤية والتطبيق أو العمل.

وبذلك، فإن الاستراتيجية غالباً ما تترادف مع التخطيط، إلا أن التخطيط لا يتمّ إلا إذا حدّد الهدف العام – وهو في هذا المضمار الذي نعالجه يتصل بصناعة احترافية لخصوصية الإبداع في أدب الطفل - ومن ثم لا بد أن يرتبط بالإمكانات الحالية والمستقبلية، وهو ما نتحصّله من خلال النظام المرحلي في تحقيق الهدف العام، وذلك من خلال رصد الحاجات والوسائل، ومن ثم يأتي التخطيط الذي يتضمن عدة عمليات من بينها انتقاء الأهداف

الخاصة واختيارها ووضعها، أما الاستراتيجية فهي كيفية الوصول إلى تلك الأهداف من خلال التخطيط المرحلي الذي يتبنّى نظرية التدرّج في التغيير الجذري.

إن تبنّي البعد الاستراتيجي يعني وضع آليات يمكن من خلالها بلوغ الأهداف، وعندما نباشر موضوعاً ما من الناحية الاستراتيجية - وهي وحدها الكفيلة بتحقيق نقلة نوعية لإنقاذ أدب الطفل من الأزمة التي يعيشها - فإنه لا بد أن نجيب على الأسئلة التالية: ماذا ؟، ومتى ؟، وكيف ؟. وفي خضم الأسئلة يتحدد الإطار والأسلوب الذي من خلاله ستتم تعبئة وتنسيق وتوجيه الطاقات والموارد والقوى البشرية والمادّية والمعنوية والمالية المتاحة في الحاضر والمستقبل؛ وذلك بغية تحقيق أهداف محدّدة ومرسومة من طرف التنظيم المشرّف على عملية التخطيط أو عملية وضع الاستراتيجية، إلا أني أؤكد على ضرورة ألا يكون ذلك حبراً على ورق، بل لا بد أن يتم من خلال برنامج عملي ينعكس ويمكن تلمّس آثاره الجذرية على أرض الواقع، وذلك يحتاج، من دون شك، إلى الإقدام والاستبصار. فأما الإقدام فيتمثّل بمعرفة تامّة للواقع، وأما الاستبصار فيتعلّق أساساً بوقوع ردود الفعل، وهو أمر يحتاج إلى استشراف المستقبل، وإلى معرفة مختلف السيناريوهات وتصور المشاهد المحتملة؛ وذلك حتى يمكن للاستراتيجي أن يستوعب مختلف ردود الفعل الممكنة والمحتملة.

وبذلك فإن الاستراتيجية لا تعتمد على مسح شامل للمعلومات، ولا على كمال في التأكد من تحقيق النتائج، بل تعتبر استراتيجية عندما تصبو إلى أهداف معيّنة، بعيدة عن الطموح المغامر أو المغرور، وتخطّط لإنجازها بالوسائل الممكنة، محاولة أن تجمع ما استطاعت من معلومات، ولكنها تضع نصب أعينها أنه في حالة الفشل ستتصرف بنوع مدروس ضمن بنودها؛ لتستدرك قواها وتستجمع أدواتها كي تباغت من جديد تلك المستجدّات

التي أعاقتها عن تحقيق أهدافها؛ لتصل إلى مرادها، يحرّكها في كل ذلك الإقدام، ودليلها إبان كل ذلك الاستبصار[1]، وهو ما نستهدف تحقيقه من خلال خطوات التخطيط المرحلي الاستراتيجي؛ وذلك من أجل تحصيل صناعة احترافية من شأنها توليد خصوصية الإبداع في القوالب الأدبية التي تستهدف تعزيز مقومات أدب الطفل المسلم.

وبعد هذا التقديم عن مفهوم التخطيط المرحلي الاستراتيجي، فإن ما نستهدفه من تأطير هذه الاستراتيجية للنهوض بأدب الطفل في المجتمع العربي الإسلامي لا يعني البتّة أننا نعيش في أحضان أدب متخلّف أو حتى عاجز عن مسايرة معطيات الواقع واحتياجاته، بل إننا نقر بأن هناك مبادرات آنية وأخرى تأسيسية في العصر الحديث والمعاصر، ولكن نؤكد على أنها كانت وما زالت مبادرات ارتجالية لا يمكن - خاصة في ظل المعطيات المعقدة للواقع المعاصر - أن نحقّق من خلالها نقلة نوعية تستهدف بلوغ مرحلة النضج الإبداعي في أدب الطفل وفق صناعة احترافية متقنة تقوم على عناصر مترابطة، وذلك بدلاً من محاكاة وترجمة ما ينتجه الآخرون وتعريبه ودبلجته دون ضابط أو تغيير ليتناغم مع معطيات ثقافتنا وهويتنا؛ وذلك بهدف الانتقال إلى سياسة التخطيط الاستراتيجي القائم على المؤشّرات التي تتم من خلالها عمليّة رصد دورية لشدة الانجذاب بين المتلقّى منه المؤلف، والمتلقّي الطفل، كما ترتبط هذه السياسة بخطط زمنية دوريّة، ويمكن من خلالها رصد معطيات ومبادرات منظّمة ومؤثّرة ومجدية في تحقيق التعافي، ومن ثم الاستقلالية الجديرة بصناعة خصوصية في الإبداع من شأنها أن تجذب الطفل المسلم نحو ما نبتغي من خلاله توظيف هذا الأدب من جوانب ثقافية وقيَمية وسلوكية، وذلك من خلال نطاق إقليمي

١- الاستراتيجية الثقافية للعالم الإسلامي في صيغتها المعدّلة المعتمدة من المؤتمر الإسلامي الرابع لوزراء الثقافة - الجزائر: (١٥-١٦ ديسمبر ٢٠٠٤م)، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسسكو، الرباط - المغرب، ص ٣٥.

يستوعب معطيات واقع كل مجتمع ودرجة نضجه على حدة.

تستلزم خطوات التخطيط المرحلي من أجل أدب طفلي متقن في المقام الأول العمل على استقراء أدب الطفل السائد، والذي يعتبر جذاباً بالنسبة للطفل بشكل عام، وللطفل المسلم على وجه الخصوص، سواء ما كان منه بصياغة إسلامية وظّفت الأهداف الإسلامية في مضمونه ومعطياته، أم كان من الأدب المترجم الذي وفد من الآخر، وتمت ترجمته أو دبلجته إلى اللغة العربية بحذافيره بعناية ومن دون عناية لخصوصيات ثقافة الأمة وهويتها.

إن العمل على تحليل مضمون الأدب السائد في مختلف قوالبه المعروضة، والذي يتوافق مع رغبات الطفل وميولاته كفيل بأن يساعد المهتمين على التعرف على جوانب الجذب في هذا الضرب من الأدب الذي يقدّم للطفل، لا سيما وأن الهدف من هذا الاستقراء يتمثّل في حصر عناصر الجذب الشكلية والمضمونية على حد سواء، وذلك من خلال عينة عشوائية تستوعب مختلف القوالب التي يقدّم من خلالها أدب الطفل، وبتوظيف للمنهج الإحصائي الذي تعكس نتائجه مؤشرات تكون في الغالب أقرب للدقّة المعينة على تبنّي استراتيجيات واضحة ومؤثّرة.

وبعد استقراء هذه العيّنة التي أمكن من خلالها تغطية مختلف القوالب التي يوجّه من خلالها أدب الطفل، تأتي الخطوة التالية المتمثّلة في تحليل معطيات الجذب التي جعلت الطفل المسلم مرتبطاً بهذا الضرب من أدب الطفل، وذلك بالنسبة لأدب الطفل المترجم أو ذلك الذي ينتج في المجتمع بما يتعارض مع مقوّمات الهوية الثقافية للمجتمع؛ وذلك للتعرف على مضمونه، ووسائل تجويده، وأهداف توظيفه وتوافق من خلال استخدام منهجية التحليل الكيفي التي تقوم عليها غالبية الأبحاث الوصفية، حيث يمكن من خلال ذلك معرفة مدى إيجابية مضمونه وتوافقه مع مبادئ الهوية الثقافية

للمجتمع، والآليات والوسائل التي وُظّفت من أجل تجويده وإتقانه وجعله بهذا المستوى من الجاذبية والتأثير، هذا بالإضافة إلى الأهداف التي أمكن من خلالها توظيفه سواء كانت تعليمية أو تربية تعزز السلوكيات والقيم في المجتمع، أو ترفيهية أو نفسية تنمي ملَكة الخيال عند الطفل، وهو ما ينبغي من خلاله تحليل أهداف التوظيف التي تقرر من خلالها إنتاج هذا العمل وتقديمه للطفل في مجتمعاتنا.

ومع خطوات الاستقراء وتحليل معطيات الجاذبية، فإنه لا بد من العمل على لملمة الجهود المبعثرة التي تمثّلت من خلالها ملامح الأدب الطفل المقدّم للطفل المسلم في الواقع المعاصر على مدى العقود المنصرمة، ومن ثم العمل على استقراء قنوات الجاذبية الموظّفة من خلالها؛ وذلك من أجل مقارنتها مع عناصر وأدوات الجاذبية الموظّفة في الأدب السائد الذي ارتبط به الطفل المسلم وحرص على متابعته رغم احتوائه على الكثير من الانتهاكات لقيَمه وسلوكه وعناصر هويته.

ويمكن من خلال هذه المرحلة توظيف المنهج البحثي المقارن الذي يعتمد آلية المقارنة بين مضمون وجودة وإتقان القوالب التي يقدّم من خلالها الأدب الذي يتناقض مع مقوّمات هويتنا الثقافية ومضمون الأدب الإسلامي وقوالبه، وذلك من أجل التعرف على جوانب القصور ومعرفة العناصر المفقودة في الأدب الإسلامي المتداول من خلال قوالبه التي تقدّم للطفل على الساحة في أشكال تغلب عليها التقليدية، وعدم مسايرة التطوّرات المستحدثة في هذا القطاع، والتي يعد توظيف التقنية السمة السائدة والكفيلة بجذب الطفل نحو العمل الجيّد الذي يحقّق إشباعاً لحاجاته في لهوه ولعبه ورفاهيته.

إن تحقيق معرفة استيعابية لجوانب القصور التي تعتري أدب الطفل السائد الذي يجذب انتباه الطفل في الألفية الجديدة في ظل ما تفرزه من معطيات من جانب، والعمل على تحليل ومعرفة جوانب التخلّف والجمود في

القوالب التي يوظّف من خلالها أدب الطفل المسلم من جانب آخر في قوالب مقارنة، كفيل بتحديد هذه الجوانب على نحو من شأنه أن يكفل معرفة مكامن الخلل للعمل على تجاوزها عبوراً من مرحلة إعادة البناء أو الترميم للأدب الذي يقدم للطفل المسلم ويوظف من أجل صقل شخصيته وتنمية ملكاته برؤية إسلامية خالصة لقدرات الإنسان في الواقع المعاصر ابتغاء توظيفها لصناعة دورها في الحياة؛ لنصل إلى مرحلة صناعة احترافية للإبداع الذي يمكننا من خلاله إبداع فنون متقنة من شأنها أن تبرز سمة الخصوصية فيما يمكن نعته بأدب الطفل المسلم.

وإن تحقيق هذه المراحل كفيل بالتأهيل لبناء أرضية خصبة يمكن أن تقوم عليها استراتيجية جادّة من خلالها تتحقق تنمية جوانب الخصوصية والإبداع في أدب الطفل المسلم، وذلك من خلال ربط الثقافة الإسلامية بالبعد التربوي والسلوكي والقيَمي، والتي تستهدفها الفلسفة التي تقوم عليها منظومة التوظيف لأدب الطفل في الثقافة الإسلامية، وفي المقام الأول بناء شخصية متعلّقة بربها، محققة لفلسفة استخلاف الإنسان في بناء المجتمع الإنساني وخدمة الإنسانية؛ وذلك ابتغاء الارتقاء بمختلف جوانب إنسانيتها في مراحلها الحياتية، والتي يأتي على رأسها مرحلة الطفولة التي تعتبر مرحلة الصقل والبناء لشخصية الإنسان، لا سيما وأن فلسفة اهتمام الإسلام بالأدب تبرز في اعتباره خير وسيلة من شأنها أن توظّف لتحقيق هذه الغاية التي تستهدفها نظرة الإسلام في توظيفها لأدب الطفل.

ثانياً: اعتبارات الوعي بأهمية أدب الطفل وحيويته.

لا يمكن أن ننكر عنصر الحضور في الجهود التي بُذلت من أجل النهوض بأدب الطفل في مجتمعاتنا، من مؤتمرات وندوات عقدت، ومؤلفات نقدية استهدفت النهوض بهذا الأدب في خضم السيل الجارف فيما يقدمه لنا الآخر في قوالب أصبحت تمثّل عنصر جاذبية للطفل بعجرها وبجرها، غير

أن تلك الجهود المبذولة في هذا الميدان لم تعد كفيلة ولا يمكن أن تحقّق النقلة النوعية التي من شأنها بناء أرضية خصبة وصلبة من أجل تحقيق صناعة احترافية تنافسية من شأنها أن تولّد خصوصية في الإبداع من خلال القوالب التي يُقدّم بها الأدب للطفل في مجتمعاتنا.

وقد ورد في الاستراتيجية الثقافية للعالم الإسلامي في صيغتها المعدّلة المعتمدة من المؤتمر الإسلامي الرابع لوزراء الثقافة الذي انعقد بالجزائر سنة ٢٠٠٤م ما يقرّر بأن التعبيرات الإبداعية عن مكنونات النفس الإنسانية من أدب بمختلف تفرعاته من شعر ورواية وقصة قصيرة ومسرح ومقالة وموسيقى ورسم هي من الفنون التعبيرية، وأن الاتجاهات والمناقشات الأدبية تتشكّل منها الثقافة العامة لشعب من الشعوب، وأن لكل شعب ثقافته الخاصة مهما كانت درجة تقدمه الحضاري.

وبناء على اعتبار أن الأدب ضرب من ضروب الثقافة، فقد جاء تأكيد التشجيع على إنتاج أدب الأطفال وتعميمه ونشره وترجمته إلى لغات الشعوب الإسلامية). كما تضمنت الاستراتيجة فرعا آخر تحت عنوان (أهمية ثقافة الطفل المسلم)، وقد ورد فيه التأكيد على ضرورة العناية الفائقة بأدب الطفل، والتشجيع على التأليف فيه، والإبداع في موضوعاته من منطلق التراث الثقافي والأدبي الإسلامي.

ومن خلال استقراء الفصل الخامس الذي تم فيه عرض وسائل تنفيذ الاستراتيجية الثقافية للعالم الإسلامي لم ترد إلا عبارات ذات دلاله عامة لتنفيذ ما ورد من بنود في هذه الاستراتيجية، وكأن ما سبقت الإشارة إليه مجرد عبارات مرسلة ليس لها محل من الإعراب في ميدان التخطيط الفعلي الذي من شأنه أن يُثري الساحة عملياً[١].

١- الاستراتيجية الثقافية للعالم الإسلامي في صيغتها المعدّلة المعتمدة من المؤتمر الإسلامي الرابع لوزراء الثقافة – الجزائر: (١٥-١٦ ديسمبر ٢٠٠٤م)، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، مرجع سبق ذكره، ص ٤١، ٩٥، ٩٧، ١١١.

ومع أن هذه الاستراتيجية تكوّنت من مقدمة وخمس فصول، واشتملت على المفاهيم والخصائص والمصادر والأهداف، ومعالجة قضايا الثقافة الإسلامية، إلا أنها خلت من الإشارة إلى أدب الأطفال أو حتى الأدب بشكل عام. غير أنها أشارت في الفصل الرابع إلى تشجيع الإبداع والترجمة للعمل المختص بالأطفال، بالإضافة إلى تشجيع التأليف من خلال بند (أهمية ثقافة الطفل المسلم)، وهي إشارات خفيفة، مع العلم بأن عدد صفحات هذه الاستراتيجية بلغ (١١٦) صفحة. ولعله مما سبق يمكن أن نستنتج أن هذه الاستراتيجية التي استهدفت النهوض بالقطاعات والجوانب الثقافية في العالم الإسلامي لم تول الجانب الأهم – وهو المتعلق بالتنمية الثقافية للطفل المسلم، والذي يعتبر الأدب من أبرز متضمناته - حيث وجّهت فصولها وبنودها لتحقيق ما يكفل الارتقاء بالجانب الثقافي عند الكبار، بل إن إشاراتها إلى رعاية أدب الطفل جاءت خجولة وغير معتبرة ولا كفيلة بصناعة أي تأثير في هذا المضمار، ولعل ذلك ينمُّ عن غياب الوعي الكفيل بتأطير أدب الطفل على نحو ما يستحقّه من اهتمام، وهو ما يعكس ضعفاً للاهتمام بالطفولة على الرغم من كونها مرحلة تؤثّر في مسيرة حياة الإنسان في إبداعه وإخفاقه على حد سواء.

إذاً هناك غياب للوعي نجم عنه عدم إيلاء الاهتمام بالقطاعات المعنية بالطفل ومنها الأدب، حيث ما زال السائد يعبّر عن امتداد لثقافة التلقين والترويح عن الطفل من خلال القصص، وهو ما يعكس غياب وعي بما يتجّه إليه أدب الطفل باعتباره صناعة احترافية لا يمكن أن تتحقق النهضة فيها من خلال مبادرات ارتجالية وعفوية بعيدة عن التخطيط، ومالم يُستوعب المختصّون في ذلك هذه الحقيقة، فإنه لا يمكن تحقيق نقلة نوعية كفيلة باستثمار جوانب أدب الطفل على نحو من شأنه تنمية عالم الطفولة في مجتمعاتنا.

ومن جانب آخر، فإنه من خلال الاطلاع على إعلان الرباط حول قضايا الطفل من منظور إسلامي الصادر في ختام الندوة الدولية، فإنه لا بد من التأكيد بأنه لم يرد ذكر للاهتمام بأدب الطفل في هذا الإعلان إلا ضمن التأكيد على ضرورة تخصيص جوائز تشجيعية للأطفال الموهوبين في مختلف مجالات الإبداع الأدبي وغيره، بالإضافة إلى تشجيع المؤسّسات التي خدمت الطفولة بأعمالها ومشاريعها المتميّزة وذات النفع العام.[1]، وهذا يعد، من دون شك، تهميشا لنطاق الاهتمام بأدب الطفل، وذلك على الرغم من كونه أبرز ما يرتبط بقضايا الطفل وما يرتبط ببرامج تنمية الطفولة.

ومن أجل ذلك، وحتى نضع أدب الطفل ضمن التأطير الذي يستحقّه عن وعي وإدراك بدلاً من الإشارات الخجولة الواردة ضمن الاستراتجية الثقافية وإعلان الرباط المشار إليهما سابقا، فإننا لا بد أن نستوعب المعطيات التالية التي يمكن أن تمثّل تأطيراً ملائماً لحيّز الاهتمام والرعاية التي ينبغي أن يحظى به أدب الطفل في مجتمعاتنا؛ وذلك حتى يتحقّق ما نطمح إليه مما سنشير إليه في ختام هذا الفصل، وفيما يلي عرض مقتضب لتلك المعطيات:

- إن الكتابة للأطفال ليست حروفاً مزخرفة، وليست تعابير إنشائية منمّقة، وأن الكلمة رسالة وعي وفن تحوي مضامين تربوية وأخلاقية.
- إن أدب الطفل قضية حيويّة لأنه مرتبط بالمبادئ والمعايير والقيم، وأن فن الكلمة تتمثّل بقدرتها العجيبة على إعادة صياغة الواقع في جو سحري مشبع بالخيال.
- ضرورة استيعاب أن الطفولة من أخصب المراحل في حياة الإنسان،

١- إعلان الرباط حول قضايا الطفل من منظور إسلامي الصادر في العام ٢٠٠٢م، والمنعقد في الفترة من ٢٢ – ٢٤ شعبان، الموافق ٢٩ – ٣١ أكتوبر ٢٠٠٢م بدعوة من المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة – إيسسكو، وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية، والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، والمنشور ضمن أبحاث ندوة قضايا الطفل من منظور إسلامي، مرجع سبق ذكره، ص ٤٨٥.

وأن تغذية هـذه المرحلة تجعل الطفل أكثر قـدرة على التعبير والتخيّل والتصوير، وهذا ما يستلزم تحسين ما يُكتب للأطفال في مختلف القوالب، وذلك من خلال فنّ التوصيل لما يمتلكه من خبرات وتجارب وملَكات عامة أو شخصية بشكل فنّي متقن.

- التأكيد على أن معيار نجاح أدب الطفل من عدمه مرهون بمدى قدرته على إيقاظ المشاعر والأحاسيس والتخيّلات الذهنية لدى جمهور الصغار.
- استيعاب أن الكتابة للأطفال عمل شاق لأنه ليس هناك مجال للمداهنات والمجاملات.[1]
- الإيمـان بمسلمة أن أدب الأطفال بالذات – ولأهمية تأثيره وخطورة جاذبيته – يستلزم الإلمام بعلم النفس، وأن أي ارتجـال في صياغة أدب الأطفال بحيث لا تستند إلى الفهم العميق لنفسية الطفل وسلوكه والعوامل المختلفة المؤثّرة في تربيته، أو اكتشاف قدراته العقلية والإبداعيّة، قد يؤدّي إلى عواقب وخيمة تضرّ بشخصيّة الطفل ومستقبله.[2]

عندئذ، يمكن أن نبني قاعدة صلبة لأدب الطفل من شأنها أن تحقّق ما نطمح إليه في مجال الاهتمام بهذا القطاع، وهو محور نعالج ارتباطاته ضمن السطور التالية التي نختم بها هذا الفصل، وذلك من خلال بيان عدد من النقاط التي تمثّل ما نطمح إليه من خلال تبنّي التخطيط المرحلي الاستراتيجي لأدب الطفل وتأطيره ضمن نطاقه الحيوي المؤثّر والمتقن، وذلك بعد استيعاب النطاقات التي يتحقّق من خلالها تأطير الموضوع ضمن النطاق الحيوي الذي يستحقه؛ وذلك باعتباره مشروع صناعة وصقل لإنسان مقبل على الحياة، ومطلوب منه أن يبدع فيها، وأن ينهض بمجتمعه وأمته.

١- إبراهيم سند، عمالقة وأقزام – كتابات في أدب الطفل البحريني، مرجع سبق ذكره، ص ١١.

٢- الكيلاني – نجيب، مدخل إلى الأدب الإسلامي، مرجع سبق ذكره، ص ١٣٩.

ثالثاً: طموحات منتظرة

لا يمكن أن نعمل على تبنّي استراتيجية تقوم على التخطيط المرحلي من أجل تحقيق صناعة احترافية قائمة على الإتقان في أدب الطفل دون أن نؤطّر ما نستهدفه بما يعبّر عن طموحنا في هذا النطاق، سيما وأن الأخذ باعتبارات الوعي بنطاق التأطير الحيوي لأدب الطفل كفيل بتحقيق ما نطمح إليه.

ومن خلال ما سبق استعراضه، فإنه يمكن تأطير ما نطمح إليه من أجل إيجاد صناعة احترافية كفيلة بتحقيق الخصوصية والإبداع القائم على الإتقان الكفيل بالنهوض بأدب الطفل المسلم على النحو التالي:

- إيجاد الطفل الأديب: إننا نطمح إلى إيجاد الطفل الأديب، وهذه غاية كبيرة نسعى إليها، وهذا يستلزم استهداف تغذية كبيرة من النصوص الفنية للموهوبين التي تعين الطفل على صقل مواهبه، هذا بالإضافة إلى دربة مستمرّة في مجال الإنشاء الأدبي[1]. ولتحقيق ذلك يرى سيرجيو سبيني بأنه للرقي بأدب الطفل لا بد من التخطيط له وفق أربعة أمور، فأما أولها فهو معرفة ظروف الطفل البيئية بصورة كافية ودقيقة، وثانيها أن يتم تحديد الأهداف بوضوح وواقعية على المدى القريب وعلى المدى المتوسط، وثالثها أن يتم وضع المناهج والوسائل التربوية الأكثر ملاءمة وفعالية، وآخر هذه الأمور هو التقييم الموضوعي للنتائج[2]. وبذلك يمكننا أن نصنع برنامجاً لتقديم أدب الطفل من الأطفال إلى الأطفال، وهذا من شأنه أن يكفل تأثيراً أكبر للقوالب الأدبية التي ستقدم للطفل، حيث سيتأتى تلاقح الأفكار ضمن إطار مجتمع الأطفال.

١- عبد الرزاق الحاج عبد الرحيم حسن، أدبيات الطفولة في التراث الإسلامي، ندوة قضايا الطفل من منظور إسلامي، مرجع سبق ذكره، ص ٢٠.

٢- سبيني سرجيو، التربية اللغوية للطفل، ت. فوزي عيسى وعبد الفتاح حسن، ١٩٩١م، دار الفكر العربي، القاهرة – مصر، ص ١٤٨.

• البحث عن مصطلحات جديدة نابعة من رحم التراث الأدبي الإسلامي: هناك مصطلحات لها ارتباط وثيق بتراثنا وبالتجارب الأدبية والتاريخية التي مرّت بنا، وبالعقيدة التي نؤمن بها؛ ومن أجل ذلك فإننا نطمح بدلاً من العيش في ظل المصطلحات الأجنبية المستوردة أن تكون لنا مصطلحاتنا الخاصة بنا، وهو ما يكفل خصوصيّة مميّزة للإبداع في أدب الطفل بشكل خاص، وفي الأدب بشكل عام، لا سيما وأن هذه المصطلحات كان لها أخطر الأثر في انحراف مسيرتنا الأدبية الإسلامية، وذلك من خلال محاولتنا إلباسها الزي العربي أو الإسلامي، وإذا كان هذا اضطراراً في بداية النهضة الأدبية، فإنه بات دليل أزمة اليوم. وعليه فإن علينا أن نجدّ لتحقيق الخصوصية في البحث عن مصطلحات جديدة بدلاً من مصطلحات (الكلاسيكية أو الرومانسية أو الواقعية أو غيرها)، وهو ما يكفل البحث عن شخصية مستقلّة، وهو أمر ليس بالهيّن، ويمكن تحقيق هذه الاستقلالية من خلال استقراء تراث أدبائنا القدامى والمحدثين الذين ارتبطوا بقيَم الإسلام وتقاليد مجتمعاته السامية، واستوعبوا ثقافته وكتابه وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام وفقهائه وأدبائه وقادة الفكر فيه، سيما وأنه لن تتضح ملامح الأدب الإسلامي أو تستكمل إلا بالاهتمام بهذا الجانب الحيوي، وهو جانب المصطلحات الخاصة بأدبنا الإسلامي ومنها أدب الطفل[1].

• الاستفادة الإيجابية من مناهج الفنون الأدبية في العالم الغربي من أجل إيجاد المبدع العبقري الذي نكاد أن نفتقده في ميدان الفنون الأدبية المعاصرة: وهذا ما ارتأته رابطة الأدب الإسلامي على لسان رئيسها عبد القدوس صالح، حيث قرّر بأن الرابطة تتابع حركة مناهج الفنون الأدبية في العالم الغربي، وما يتردّد من أصداء هذه المناهج في العالم العربي بين تقليد يبتعد عن الأصالة ويتنكّر للتراث وبين محاولات متعثّرة لتجديد يعتوره مركب النقص، ويغلب عليه طابع التقليد، ولا ينطلق من أرضية صلبة

١- الكيلاني – نجيب، مدخل إلى الأدب الإسلامي، مرجع سبق ذكره، ص ١٤٧.

أو خلفية فكرية سليمة متميّزة، وأنه نتيجة لذلك يأتي ضعيفاً هشّاً كأنه ريشة تعصف بها الريح حتى تكاد أن تهوي بها في مكان سحيق.

ثم يؤكد صالح بأن الطموح في تغيير هذه الصورة ينطلق مع الإيمان الوطيد بأهمية المناهج في النقد والإبداع، وأنه لا ينبغي أن تكون أغلالاً تحول بين الأديب وبين الانطلاق في عالم الإبداع الفسيح. كما أكد أن المبدع العبقري الذي نكاد نفتقده في ميدان الفنون الأدبية المعاصرة هو الذي يدرس مختلف المناهج ويختار منها أمثلها وأقربها إلى تصوّره الفكري والعقَدي والفني، وأنه مع اطلاعه على مختلف المناهج وتفضيل ما يرى تفضيله منها، فإن موهبته الفذّة قد تتجاوز حدود هذا المنهج، ولكنه تجاوز المقتدر المتمكّن، لا تجاوز الضعيف المتعذّر؛ ليسهم في ذلك بإنتاجه المتميّز في نسج خيوط لمنهج جديد، أو في فتح آفاق في المنهج الذي ارتضاه لنفسه، وأخذ نتاجه به، وأن هذا ما نجده لدى العباقرة الذين يلتزمون في أوليتهم بمنهج يرتضونه، ثم ما يلبثون بعد التمرس والتمكّن والعبقرية أن يتجاوزوا هذا المنهج فيما يبدعون، وذلك حتى يأتي من النقّاد من يتّخذ من إبداعهم منهجاً جديداً في الفن الذي أجادوه وجددوا فيه، وفي هذا فليتنافس المتنافسون الذين يغنون الأدب ويغنون الإنسانية بعطاء أصيل في ذاته، ومبشّر بمنهج يأتي من بعده، ويستوحي من نتاجه، وهذا ما كان وسوف يكون في مسيرة الإنسانية في عالم الإبداع والفنون[1].

وتعقيباً على ذلك، ففي ظل ما يشهده أدب الطفل عند الغرب من تحديث غير مسبوق تحقّق من خلال الربط بين الكثير من الأدوات والوسائل التي تحقّق بفضلها تقديم قوالب أدبية للطفل أضحت قادرة على استيعاب الكثير من احتياجاته والتفهّم لكثير من تطلّعاته، فإن من الضرورة بمكان التأكيد

١- عبد القدوس أبو صالح، الأديب الإسلامي ومناهج الفنون الأدبية، مقال منشور ضمن مجلة الأدب الإسلامي الإلكترونية، العدد (٦٨)، وذلك ضمن الرابط الإلكتروني على موقع رابطة الأدب الإسلامي: http://www.adabislami.org/magazine.

على ضرورة الاستفادة من هذه القوالب الأدبية التي أبدع فيها الأدباء الغربيّون على نحو عكس احترافية في العمل، وهي طفرة تحقّقت بفضل استيعاب أهمية وضرورة فلسفة العمل الجماعي والمؤسسي الذي من شأنه تبنّي التخطيط في مجال أدب الطفل.

● إنتاج أدب أطفال احترافي متقن: ولتحقيق هذا الطموح لا بد من تفعيل عدد من الجوانب من أجل تحقيق الإتقان والاحترافية في إنتاج أدب الطفل، وهي على النحو التالي:

- لا بد أن نستوعب أن أدب الطفل لم يعد ذلك الأدب المكتوب والشفهي (قصة، مسرح، وغناء)، بل إنه أصبح يوظف اليوم في قوالب سينمائية، ومن خلال الرسوم الكاريكاتورية ثلاثية الأبعاد، كما أصبح يوجه للطفل حسب مرحلة نموه، فهو يوجه للأطفال في مراحل نموّهم حتى نهاية مرحلة (الطفولة المتأخرة)، ويدعى أدب الشباب أو الناشئة حين يوجّه إلى الناشئة أو الأطفال في مرحلة المراهقة المبكرة التي تتوافق مع الأعمار المتعاقبة من (١٢إلى ١٤) سنة، وكذلك مرحلة (المراهقة المتوسطة) التي تتوافق مع الأعمار المتعاقبة من (١٥ إلى١٧)، وربما مرحلة (المراهقة المتأخرة) أيضاً.

- هناك اعتبارات بالنسبة لنوعيّة للكتب، وما يرتبط بشكل كتب الأطفال الخارجي من حيث حجم الكتاب، ومن حيث جمال تصميم الصفحات الداخلية، والغلاف الخارجي. وحتى الأطفال المعوّقين من أصحاب الإعاقات العقلية أو الجسدية تؤلّف لهم كتب حسب قدراتهم واحتياجاتهم واهتمامتهم.

- من أجل تحصيل أدب أطفال متقن، لا بد من استيعاب التمييز بين أدب الأطفال و أدب الراشدين، سواء من حيث السمات التربوية والفنية،

أو من حيث احتواؤه على الانفعال القادر على إيجاد عنصر المفاجأة التي تجذب الطفل وتؤثّر فيه، كما يتعين استيعاب أن أدب الأطفال ليس أقل قدراً من أدب الكبار، وليس هو أدباً هامشيّاً كما يحلو لبعض النقاد أن يصفه، وهو ما يستلزم أن يكون أدباء الأطفال من ضمن تصنيف الأدباء، وهو ما يغفله كثير من المصنّفين والنقاد في هذا المجال.

- أن يكون المحرّر لأدب الطفل أو أديب الأطفال ممن تتوافر فيه العديد من الشروط حتى ينتج أدباً متقناً تتمثل في:

١- أن يكون عارفاً بمراحل النمو العقلي والجسدي واللغوي الخاص بكل مرحلة من مراحل الطفولة.

٢- أن يكون على اطلاع واسع بأدب الأطفال العالمي والعربي.

٣- أن يقدّم ما يناسب الأطفال عمرياً.

٤- أن يكون أدبه بسيطاً وليس ساذجاً.

٥- أن يرى العالم الذي يحيط به من خلال عيون الأطفال، وهذه موهبة لا تتوافر عند كثير من المؤلّفين، وللتغلب على هذه الصعوبة اهتمت بعض دور النشر باختيار مجموعة من الكتّاب الشبّان للتخصّص في الكتابة للأطفال؛ ليكونوا بمثابة صفّ ثانٍ لكبار الكتاب المعدودين المتخصّصين في هذا المجال، كما قدّمت لهم تسهيلات لصقل مواهبهم.

٦- أن يفرّق في كتابته بين الكتابة لكتاب، والكتابة لمسرح، أو تلفزة، أو إذاعة، مما يعني أن عليه أن يكون على دراية بكل وسيط دراية تامّة حتى يكفل لعمله النجاح والحِرفية.

٧- أن يكون أديب الأطفال خلوقاً لأن سمة أدب الأطفال هي سمة أخلاقية تربوية.

٨- أن يكون موهوباً ذا حس مرهف، مخلصاً، ومثقفاً[١].

- تخصيص منابر لدراسة أدب الطفل ونقده، مع الاهتمام العريض بهذا الضرب من الأدب: فلا بد من أجل تحقيق الاحترافية والإتقان الذي نطمح إليه أن تشرع له منابر النقد والدراسة، سيما وأنه لا توجد دراسات بالمعنى الحقيقي لأدب الطفل المعاصر، كما ينبغي أن يخصّص له اهتمام إعلامي عريض يبرز دوره المهم في رصد وجدان الطفل وتهذيبه وإعداده للحياة في عالم أكثر رحابة وأمناً، كما ينبغي تشجيع المبدعين الحقيقيين على ممارسة الإبداع الفعَّال في مجال أدب الطفل. سيما وأن أدب الأطفال، شأنه شأن أنواع الأدب الأخرى، لم ينتج ليكون للتلقي فقط، بل من حقه أن يرصد من عيون النقاد، وذلك بحيث يدرس دراسة وافية، وتُقيَّمُ فنونُهُ، وتُقوَّمُ عيوبُهُ، ومن واجبنا أن نبتهجَ ونحن نرى أن هذا الأدب قد طرأ عليه تطورٌ مزهرٌ من حيث لغتُهُ وأساليبُه وجمالياتُه ومضامينُه.

- الاستفادة من التقنيات الأدبية المستخدمة في أدب الكبار وتوظيفها في أدب الطفل: وهي كثيرة منها: اللغة الشاعرية، وأسلوب العرض، والتكثيف، وتداخل الأجناس الأدبية، وحداثة الرؤية، والدخول إلى قلب الحدث، والإيقاع الداخلي للكلمات... وغيرها كثير[٢]. ولا شك أن مظاهر التنمية والتطوير التي يشهدها أدب الكبار نظراً لعناية المهتمّين به باعتباره موجّها منهم وإليهم، ينبغي أن تنعكس في أدب الطفل بحرفية تتلاءم مع مستوى فهم الأطفال وإدراكهم، وهو ما يعني محاكاة عناصر الجذب في أدب الكبار وتوظيفها في القوالب التي يقدّم من خلالها أدب الأطفال.

- توظيف أدب الطفل من خلال التقنيات الرقميَّة: ليس هناك اهتمام

١- البقاعي – إيمان، المتقن في أدب الأطفال والناشئة (لطلاب التربية ودور المعلمين)، مرجع سبق ذكره، ص ١٠ و٣٠.

٢- قحطان بيرقدار، أدب الأطفال بين الواقع والتَّطلُّع، مقال منشور على موقع الألوكة ضمن الرابط: http://www.alukah.net/Literature_Language

لمنهجي بتوظيف التقنيات الرقمية لصناعة الخصوصية والإبداع في أدب الطفل المسلم، هذا فضلاً عن أن معطيات التوظيف في هذا المجال لا ترقى لصناعة حالة مواكبة أو حتى تنافسية لما تشهده صناعة التقنيات الرقمية التي توظّف في قوالب أدبية وتقدّم إلى الطفل في الغرب...

إن طفل الإنترنت هو الأرضية الجديدة التي يجب حرثها أو استقطابها واحتلال المواقع المخصَّصة له داخل الشبكة، كما أن المنافسة ستكون شديدة بين أطفال الإنترنت أنفسهم، فمعظم هؤلاء الأطفال سيكون لديهم القدرة على برمجة أفكارهم وتخيّلاتهم وتصوّراتهم وبثّها عبر جهاز الحاسب الآلي إلى أصدقائهم، وهذا ما يستلزم مزيداً من التعاون بين الأدباء الملتزمين بمنهج الأدب الإسلامي في أدب الأطفال، والمتفهّمين لروح العصر وحاجة الطفل المسلم لمواكبة التطوّر التكنولوجي، بالإضافة إلى مهندسي التقنيّات الحديثة، فإنه من الممكن إنتاج المزيد والمزيد من الأسطوانات المدمجة، وبناء مواقع الإنترنت التي يجد فيها هذا الطفل بغيته، فلا يلتفت إلى المواقع السلبية، وبهذا تسهم تلك الوسائل والتقنيّات الجديدة في تحقيق غايات أدب الأطفال[1].

- تشجيع العمل الجماعي والمؤسسي في صناعة أدب الطفل: وهذا ما يؤكد ضرورة تبنّي استراتيجية احترافية تقوم على تعاون عدّة عناصر في إعداد وتنفيذ وإخراج القالب الذي يقدّم من خلاله أدب الطفل المسلم، وهذا إذا لم يتحقّق ضمن نطاق مؤسّسي – وإن كان هذا هو المحبّذ – فإنه يمكن أن يتعاون العالم المتخصّص في علم نفس الأطفال مع من يكتب أدب الطفل حتى يرقب توظيف الكلمات، بالإضافة إلى تعاون كل من هؤلاء مع الرسام المتمكّن؛ وهذا من شأنه أن يحقّق كتابات علمية تستهوي الأطفال، وتجمع

١- أحمد فضل شبلول، توظيف التقنيات الرقمية في أدب الأطفال، ملخص بحث مقدم لندوة منهج الأدب الإسلامي في أدب الأطفال، المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي، من ٢٦ ـ ٢٨ صفر ١٤٢٦ هـ – الموافق ٥ ـ ٧ نيسان/ أبريل ٢٠٠٥م، الرياض – السعودية.

بين الدقّة والتشويق، وبما من شأنه كفالة التنوّع الممتع في القوالب التي يقدّم من خلالها أدب الطفل مقروءاً أو مسموعاً أو مرئياً.

وضمن هذا الإطار، فإننا يمكن أن نحقّق عناية متوازنة لتغطية مختلف مجالات المضمون العلمي في كتب الأطفال، كمعرفة ومعلومات، وسلوك واتجاهات وقدرات، بالإضافة إلى الأنشطة العلميّة والتطبيقات والتجارب، وذلك في إطار من الأساليب الشائقة الجاذبة والمحببة لدى الأطفال من خلال الجمع بين الأصالة والإبداع، إلا أن ذلك يستلزم تبنّي تصوّر يمكن من خلاله تحديد اتجاهات نشر الكتب واتجاهات ونوعيات القوالب التي يقدّم من خلالها أدب الطفل. ولا شك أن الرقابة الرسمية على منظومة العمل الجماعي والمؤسسي في إنتاج أدب الطفل كفيلة بالحد من شيوع التوجّه الذي يستهدف الربح التجاري، ويتجاهل احتياجات الطفل الحقيقية التي يوظّف أدب الطفل من أجلها؛ وذلك من أجل إخراج أدب الطفل السائد من النمطية إلى الجرأة الأدبية المدروسة والمرتبطة بأهداف جادة ومنظّمة ومرحلية.[١]

إن تحقيق الجمع بين الأصالة التي تكفل الخصوصية والإبداع الذي يكفل كسر حاجز النمطيّة لأدب الطفل لا يمكن أن يتحقّق دون تأطير لهذا الأدب، وذلك من خلال تبنّي برنامج تخطيط استراتيجي يتحقّق من خلاله الربط بين هذا الفن والثقافة الإسلامية في بعد تربوي وسلوكي وقيَمي، وهو ما يمثّل حجَر الزاوية فيما يوظّف من خلاله أدب الطفل المسلم، كما أنه يعبّر عن قسَمات الهويّة التي ينبغي أن تحتفظ بخصوصيتها البراقة. كما لا يمكن تحقيق نقلة نوعيّة من أجل الارتقاء بأدب الطفل من خلال تخطيط مرحلي استراتيجي يستهدف تحقيق

١- باسمة العسلي، أدب الأطفال... دعوة إلى الأصالة والإبداع، ثقافة الطفل - واقع وآفاق، مجموعة أبحاث تجميع. عبد الواحد علواني، ١٩٩٧م، دار الفكر، دمشق - سوريا، ص ١٢٨.

ما نطمح إليه إلا من خلال اعتبار أدب الطفل المسلم قضيّة هوية وانتماء نظراً لما يرتبط به؛ وذلك باعتباره موجّه إلى شريحة تتشكّل في مرحلتها العمرية أفكار وتوجهات، ويمكن من خلاله تكوين ملكَة الإبداع اللغوي عند الطفل، ولا شك أن صناعة الأفكار والتوجّهات وبناء اللغة تعتبر من أهم قسَمات الهوية، وعندئذ يمكن أن نضع الأمور في نصابها في نظرتنا وتفاعلنا وتطلّعنا في توظيفنا لأدب الطفل المسلم.

الخاتمة

بالرغم من الكتابات الكثيرة النقدية حول ما يمكن نعته بأدب الأطفال، ومع تعدد الرؤى والتوجهات في توظيفه والإبداع فيه، إلا أن نطاقه يبقى غامضاً في جوانب عديدة، سيما وأنه أصبح مرتبطاً، في ظل الواقع المعاصر، بعلم نفس الطفل، ولم يعد مادّة مكتوبة تقدّم للطفل في قالب جامد، بل أصبح للصورة فيه توظيف، وللرسم فيه احتراف، بل وحتى للغلاف وسمك الصفحات وحجمها اعتبارات ألّفت فيها المؤلّفات الكثيرة والمتعدّدة والمتعمّقة، وهو ما يعني أنه لم يعد عملاً ارتجالياً مفرداً، بل أصبح عملاً جماعياً مؤسسياً يرتبط بالكثير من المعطيات، وله علاقة بالعديد من الأبعاد، وتوظّف من خلاله الكثير من الآليات والأساليب، ويتغيى العديد من الأهداف والغايات.

ومن أجل ذلك، فقد اكتسب أدب الطفل أهميّته ووجوده الجوهري، فهو لم يعد موظّفاً في قوالب تقليديّة محدودة التأثير في حياة الطفل، كما أصبح أداة لصناعة الإنسان في مرحلة التكوين وصناعة الأفكار والتوجّهات، وهذا ما جعله يمثّل جانباً حيوياً يمكن أن ينطلق منه تشكّل قسَمات الهويّة باعتباره تعبيرات لغوية، وباعتباره قوالب لتنمية توجّهات الطفل وقيَمه ومبادئه، بالإضافة إلى تحقيقه جانب الاستقرار والرفاهيّة للطفولة، وهي، من دون شك، كفيلة بصناعة إنسان مستقر في فتوته وشبابه وبقية مراحل حياته.

ومن خلال ذلك، ونظراً إلى أن منظومة الإسلام تعتني بدور الإنسان وتوظيف قدراته في رحلة الحياة، فإن الخلفية التاريخية تقرّر أن هناك منظومة متكاملة لأدب الأطفال في تراثنا الإسلامي ما زالت مخطوطة ولم يتم تحقيقها، ولا شك أن تغييبها يعد تفويتاً لما من شأنه تعزيز جانب خصوصية الإبداع في الأدب الذي يقدم للطفل المسلم، لا سيما في ظل الأزمة البارزة التي تزعزع من خلالها الأدب المقدم للطفل في مجتمعاتنا.

ولما كانت أزمة أدب الطفل أزمة عالمية كما قرر سليستا فيما سبق ذكره، وكان لمجتمعنا من هذه الأزمة نصيب الأسد، فإن تحقيق نقلة نوعيّة لأدب الطفل المسلم يستلزم تبنّي تخطيطٍ مرحلي استراتيجي جادٍ من شأنه أن يحقق تأطيراً موضوعياً يثير الحيوية والتّجديد ويقويّ التّنافسية لأدب الطفل على نحو من شأنه تعزيز منظومة القيم الإسلامية ومبادئ الدين، ولا شك أن ذلك هو الكفيل بتحقيق ما نطمح إليه من تنمية للحس الأدبي لدى الطفل، وتعزيز جانب الاحترافية في الإنتاج المقدّم له من خلال مراعاة الاعتبارات المتعلّقة بأديب الأطفال، ومن خلال تشجيع العمل الجماعي والمؤسسي في مختلف ما يقدّم للطفل في قوالب من شأنها ربط الثقافة الإسلامية بالبعد التربوي والسلوكي والقيَمي، وقبل ذلك تعزيز التعلّق باللغة العربية الفصحى باعتبارها لغة القرآن حتى يستقيم بها لسانه، وتتعزّز من خلالها ملَكاته وأحاسيسه.

إن أدب الأطفال لا يعتبر أدباً جامداً، بل هو أدب تتنوع أدواته وتوظيفاته من أجل تحقيق العديد من المعطيات والارتباطات التي تؤدي إلى غرس القيم التربوية، أو إيصال مجموعة من الرسائل المرتبطة بهذه المرحلة من نشأة الإنسان، كما أننا في ظل ما يقدّم للأطفال لا بد من التأكيد على أن تصنيف أدب الأطفال يتقرّر من خلال الأهداف المرتبطة به، وأنه حين تجتمع الأهداف اللغوية والتربوية والثقافية فإننا نكون أمام أدب الأطفال مكتمل المعالم.

ومن جانب آخر، فإنه لا يمكن حصر الأدوات التي يتضمّنها أدب الأطفال باعتباره أدباً متجدّداً يرتبط بتوظيف التقنيّات والابتكارات في قنوات الاتصال، ولا شك أن تحقيق الدمج بين هذه الوسائل كفيلٌ بتجويد فعالية الأدوات التي ينتقل من خلالها هذا الضرب من الأدب؛ لكن من المهم أن تكون الأداة التي يتحقّق من خلالها الاتصال بالطفل عبارة عن قوالب

أدبية، أما إذا كانت غير ذلك فإنه يمكن أن تندرج تحت منظومة ثقافة الطفل التي تتسع لتستوعب مختلف الجوانب التي تتعلّق بالإبداع في صناعة شخصية الطفل وصقلها. ومما يسترعي التنبيه أن ما توظّف من خلاله القوالب الأدبية للأطفال يتمثّل في رعاية التنمية والتطوير للملكة اللغوية عند الطفل باعتبار أن اللغة تمثّل جوهر الهوية وقلبها النابض، وما عدا ذلك من أهداف فإنه ينبغي ألا تطغى على هذا الهدف الأساسي المتمثّل في صقل الملَكات اللغوية عند الطفل، باعتبارها وسيلة لتحقيق التأصيل الثقافي والمعرفي.

إن مفهوم أدب الأطفال مفهوم يرتبط بكل مجتمع على حدة، ويرتسم وفق درجة وعي المجتمع ونضجه، كما أنه لا يدرك خصوصيّته ولا يستوعب حيويّته إلا من فقه آليات توظيفه، ومحاور تأطير الثقافة والمعرفة المرتبطة به وفق منهجيات تقوم على الاستقراء، وترتكز على الاستيعاب الكلي، بالإضافة إلى القدرة على الربط بين التنظير والتطبيق.

لا خلاف بأن كل ما وُجّه إلى الطفل في حقب تاريخية مختلفة، وضمن نطاق حضارات إنسانية متعدّدة يعد أدباً للأطفال، وقد انعكس من خلال هذا الامتداد تنوّعاً في الفنون الإبداعية في هذا الأدب على نحو يتناغم مع معطيات الواقع الذي وجد فيه، إلا أن نشأة أدب الأطفال كعمل فني هادف له نظم وأصول في الشكل والمضمون لم يعرف إلا في عصرنا الحديث، مع العلم بأن هناك ملامح باهتة في أدب الطفولة قد عرفت منذ القدم، إلا أنها تتميز بعفويتها وبابتعادها عن القوانين والضوابط. وإذا كان أدب الأطفال الذي ساد في الحضارات الإنسانية القديمة لا يجاري ما أصبح عليه أدب الأطفال في ظل الواقع المعاصر، فإن ذلك يرجع بداهة إلى كونه انعكاساً للسائد في المجتمع فكراً وثقافة وحداثة.

ومن جانب آخر، فإن معطيات واقع المجتمع ومستوى نضجه هو الكفيل بأن يغرس اهتماماً إبداعياً بأدب الطفل؛ وذلك أن إيجابية توظيفه تتحقّق من خلال نظرة تطلعيّة في وجدان المجتمع للارتقاء بثقافة الطفل وفنّه وإبداعه باعتباره محور مستقبل التنمية والتحديث في المجتمع، وإن هذا المستوى لا يمكن أن تحقّقه إلا المجتمعات الناضجة الواعية؛ لذلك فإن الإبداع في أدب الطفل يستلزم بلوغ الحضارة التي يسود فيها جانب من النضج المؤهّل لها لإدراك حيوية تأثير أدب الطفل في صقل شخصيته وصناعة حقيقته.

إن القضية في منظومة الارتقاء بأدب الطفل لا تتمثل في حشد الجهود فقط، بل لا بد من توجيه هذه الجهود وفق خطط مدروسة تستهدف تحقيق غايات محدّدة تتّسم بالخصوصية والإبداع الذي ينطلق من البعد المتجذّر للمجتمع العربي المسلم؛ لذلك فإنه ليس ثمة استثمار حقيقي لما بُذل في أدبيات الطفولة في التراث الإسلامي وفق ما استقرأه عبد الرزاق الحاج عبد الرحيم فيما سبق استعراضه، ولم يتعدّ تأثير التراث القديم في التراث العربي الحديث إلا ضمن نطاق سطحي ظهر في النظرة الاجتماعية للطفل على أنه راشد مصغّر، وأن الذكر يفضل الأنثى، وفي الأنسنة التي تعني عملية خلع صفات الإنسان على الحيوان والجمادات.

لقد أفرزت تداعيات أزمة أدب الطفل في الواقع المعاصر العديد من الأبعاد التي أثّرت في واقع ومستقبل أدب الطفل في مجتمعنا، حيث نجم عنها أزمة في المضمون، وأزمة في اللغة، وأزمة في الرسوم والصور؛ لذلك فإن من الضرورة بمكان أن من يكتب أدباً للأطفال يبتغي منه تحقيق غايات محددة لا بد وأن يتوجّه بأدبه إلى أطفال حقيقيين، ولا بد أن يكون هو قد عاش بالفعل طفولة حقيقية حتى يقدّم أنموذجاً فريداً في أدبه،

وإن كان ذلك متعذّراً وفق معطيات الواقع، إلا أن تحقيقه يستلزم، في عصر العلم والتخطيط، ألا تسير الأمور بطريقة عشوائية أو طبقاً لاشتراطات شخصية، حيث إن ذلك لم يعد مقبولاً رغم أنه هو السائد.

إن الأبعاد الخطيرة التي أفرزتها معطيات إهمالنا وارتجالنا في نظم أدب الأطفال كفيلة بأن تثير فينا تساؤلاً مفاده: هل آن الأوان لكي نسير في الطريق الصحيح نحو بناء المستقبل الثقافي والأدبي لأطفال الوطن العربي والإسلامي؟ ما يستدعي اليوم بذل جهد إقليمي تتضافر فيه جهود الخبراء في المجال، والمهم في ذلك كله أن نبدأ، لا سيما وأن الأبعاد التي أفرزتها تداعيات الواقع المعاصر قد أضحت تهدّد الطفولة العربية والإسلامية في مقتل.

إن ظهور ما يمكن نعته بالأدب الإسلامي كان بمثابة محاولة لتصحيح مسار الانفتاح والتبنّي غير المتعقّل للمذاهب الأدبية التي سادت في العالم الغربي، والتي لم تكن مذاهب فنيّة فقط، بل هي مذاهب ارتبطت بمضمون النظرة إلى الكون والحياة، والتي يتعارض جانب كبير منها مع النظرة التي قررتها النصوص الشرعية المرعية، مما يستلزم تحصين الأدب الذي ينتجه الأدباء المسلمون ويتوجّهون به إلى المجتمع من مثل هذه المذاهب التي قد تتعارض مع القيَم التي قررتها مبادئ الإسلام وتعاليمه.

إن استراتيجية العالم الإسلامي الثقافية في صيغتها المعدلة المعتمدة من المؤتمر الإسلامي الرابع لوزراء الثقافة، والتي استهدفت النهوض بالقطاعات والجوانب الثقافية في العالم الإسلامي، لم تول الجانب الأهم - وهو المتعلّق بالتنمية الثقافية للطفل المسلم، والذي يعتبر الأدب من متضمناته -ما يستحقه من رعاية واهتمام، ودعت فصول الاستراتيجية وبنودها إلى الارتقاء بالجانب الثقافي عند الكبار، وبقيت إشاراتها إلى رعاية أدب الطفل خجولة وغير معتبرة ولا كفيلة بصناعة أي تأثير في هذا

المضمار، ولعل ذلك ينمُّ عن غياب الوعي الكفيل بتأطير أدب الطفل وفق ما يستحقه من اهتمام.

ولذلك، فإنه لا يمكن تحقيق نقلة نوعية من أجل الارتقاء بأدب الطفل في مجتمعاتنا إلا بتخطيط مرحلي استراتيجي يستهدف تحقيق ما نطمح إليه من خلال اعتبار أدب الطفل المسلم قضيّة هويّة وانتماء ؛ وخطابا موجّهاً إلى شريحة تتشكّل في مرحلتها العمرية الأفكار والتوجهات، ويمكن من خلالها – أي المرحلة – تكوين ملَكة الإبداع اللغوي عند الطفل، ولا شك أن صناعة الأفكار والتوجّهات وبناء اللغة تعتبر أهم قسَمات الهوية. وعندئذ يمكن أن نضع الأمور في نصابها عند نظرتنا وتفاعلنا وتطلعنا إلى توظيف أدب الطفل المسلم، ومن أجل ذلك فإنه من الضرورة بمكان، في ظل ما يشهده أدب الطفل عند الغرب من تحديث غير مسبوق واستثمار الأدوات والوسائل الحديثة، التأكيد على ضرورة الاستفادة من هذه القوالب الأدبية التي أبدع فيها الأدباء الغربيّون على نحو عكس احترافية في العمل، وهي طفرة تحقّقت بفضل استيعاب أهميّة وضرورة فلسفة العمل الجماعي والمؤسسي الذي من شأنه تحقيق التخطيط المنهجي في مجال أدب الطفل.

وبناء على ما سبق، فإننا نوصي بضرورة استثمار الثروة التراثية التي تم من خلالها توظيف الأدب لخدمة الطفل في مختلف الحقب الإسلامية السالفة، والتي ما زالت قابعة في المخطوطات وتحتاج إلى تحقيق، وذلك لن يتحقق إلا من خلال تعزيز منابر الوعي باعتبار أن الاهتمام بأدب الطفل يعد اهتماماً حيوياً بقضية الهوية التي تعكس الانتماء للغة والثقافة والمضمون القيَمي، وهذا من دون شك يستلزم تأطيراً لمختلف القوالب التي يقدّم من خلالها الأدب للطفل في مجتمعاتنا.

ومن جانب آخر، فإن من الضرورة بمكان حشد الجهود وتوجيه الطاقات والخبرات لتنمية أدب الطفل، وذلك من خلال تبنّي منظومة قائمة على

التخطيط الاستراتيجي المرحلي، وهو الكفيل وحده بتجويد صناعة أدب الطفل في مجتمعاتنا، وهو القادر على أن يحقّق النقلة النوعية التي من شأنها أن تعزّز منظومة الخصوصية في الإبداع في الخطة الاستراتيجية لأدب الطفل المسلم من خلال الجمع بين الأصالة المتجذّرة، والإبداع المتميّز.

قائمة المراجع

أولاً: الكتب العامة.

١- إبراهيم سند، عمالقة وأقزام – كتابات في أدب الطفل البحريني، ط.١، ١٩٩٧م، دار الكنوز الأدبية، المنامة – البحرين.

٢- أبو السعد – عبد الرؤوف، الطفل وعالمه الأدبي، ١٩٩٤م، دار المعارف، الإسكندرية – مصر.

٣- أبو معال – عبد الفتاح، أدب الأطفال – دراسة وتطبيق، ط.٢، ١٩٨٨م، المركز العربي لتوزيع المطبوعات، عمّان – الأردن.

٤- أبو هيف – عبد الله، أدب الأطفال نظرياً وتطبيقياً، ١٩٨٣م، اتحاد الكتاب العرب، دمشق – سوريا.

٥- أحمد زكي صالح، علم النفس التربوي، ط.١٠، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة – مصر، ودار الثقافة، بيروت – لبنان.

٦- أحمد نجيب، المضمون في كتب الأطفال، دراسات في أدب الأطفال (٢)، دار الفكر العربي، الإسكندرية – مصر.

٧- الأسعد – عمر، أدب الأطفال، ط.١، ٢٠٠٣م – ١٤٢٤هـ، عالم الكتب الحديثة، إربد – الأردن.

٨- البسيوني – محمد، طرق تعليم الفنون، ط.٤، ١٩٦٥م، دار المعارف، القاهرة – مصر.

٩- البقاعي – إيمان، المتقن في أدب الأطفال والناشئة (لطلاب التربية ودور المعلمين)، دار الراتب الجامعية، بيروت – لبنان.

١٠- الحديدي – علي، الأدب وبناء الإنسان، ١٩٧٣م، الجامعة الليبية، طرابلس – ليبيا.

١١- الحديدي – علي، في أدب الأطفال، ط.٣، ١٩٨٢م، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة – مصر.

١٢- الصقلّي – ابن ظفر، أنباء نجباء الأبناء، ١٩٨٠م، دار الآفاق، بيروت – لبنان.

١٣- الفيصل – سمر روحي، ثقافة الطفل العربي، ١٩٨٧م، منشورات اتحاد الكتاب العرب، مطبعة اتحاد الكتاب العرب، دمشق – سوريا.

١٤- الكيلاني – نجيب، مدخل إلى الأدب الإسلامي، سلسلة كتاب الأمة (١٤)، جمادى الآخر، ١٤٠٧هـ، ط.١، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، الدوحة – قطر.

١٥- المشرفي – انشراح إبراهيم، أدب الطفل – مدخل للتربية الإبداعية، ط.١، ٢٠٠٥م، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، الإسكندرية – مصر.

١٦- المصلح – أحمد، أدب الأطفال في الأردن، ط.١، ١٩٨٣م، منشورات دائرة الفنون والثقافة، عمّان – الأردن.

١٧- الهيتي – هادي نعمان، أدب الأطفال (فلسفته، فنونه، ووسائله)، كتاب جديد عرضه محفوظ داود، مجلة البحوث، العدد الثاني، ١٩٧٩م، القاهرة – مصر.

١٨- الهيتي – هادي نعمان، أدب الأطفال (فلسفته، فنون، ووسائطه)، ١٩٨٦م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة – مصر.

١٩- بريغيش – محمد حسن، أدب الأطفال (أهدافه وسماته)، ط.٢، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان.

٢٠- ذكاء الحر، الطفل العربي وثقافة المجتمع – عينات من قصص الأطفال، ط.١، ١٩٨٤م، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.

٢١- رشدي أحمد طعيمة، أدب الأطفال في المرحلة الابتدائية – النظرية والتطبيق (مفهومه وأهميته، تأليفه وإخراجه، تحليله وتقويمه)، ط.١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، دار الفكر العربي، القاهرة – مصر.

٢٢- زلط - أحمد علي، أدب الطفولة... أصوله.. مفاهيمه.. رواده، سلسلة دراسات في الأدب والنقد (١) أدب الطفولة، ط.٢، ١٩٩٤م، الشركة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

٢٣- زلط - أحمد علي، مدخل إلى أدب الطفولة... أسسه، أهدافه، وسائطه (ثقافة الطفل المسلم)، ٢٠٠٠م، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض – السعودية.

٢٤- سعد أبو الرضا، النص الأدبي للأطفال – أهدافه ومصادره وسماته – رؤية إسلامية، سلسلة رابطة الأدب الإسلامي العالمية – مكتب البلاد العربية (٥)، ط.١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، دار البشير للنشر والتوزيع، عمّان – الأردن.

٢٥- سهير أحمد محفوظ، الخدمات المكتبية وأدب الأطفال، ١٩٩٧م، المكتبة الأكاديمية، القاهرة – مصر.

٢٦- راجي عنايت، مسرح الأطفال بين الواقع والأسطورة، مجلة الطليعة، السنة (٢)، إبريل ١٩٦٦م، القاهرة – مصر.

٢٧- مفتاح محمد دياب، مقدمة في ثقافة وأدب الأطفال، ط.١، ١٩٩٥م، الدار الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

٢٨- ناصر يوسف أحمد، القصص الفلسطيني المكتوب للأطفال (١٩٧٥ – ١٩٨٤م)، ط.١، ١٩٨٩، دائرة الثقافة – منظمة التحرير الفلسطينية.

٢٩- الموسوعة العربية الميسرة، ١٩٨٧م، دار نهضة لبنان، بيروت – لبنان.

٣٠- الاستراتيجية الثقافية للعالم الإسلامي في صيغتها المعدّلة المعتمدة من المؤتمر الإسلامي الرابع لوزراء الثقافة – الجزائر: (١٥- ١٦ ديسمبر ٢٠٠٤م)، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة – إيسسكو، الرباط – المغرب.

ثانياً: مجموعات الأبحاث الواردة في الكتب والمؤتمرات والندوات والدوريات.

٣١- ألفت حقي، ثقافة الطفل، مجلة عالم الفكر، المجلد (١٠)، العدد (٣)، القاهرة - مصر.

٣٢- النعيمي – حازم، مجلات الأطفال ودورها في تكوين المفاهيم، العدد (٧)، ١٩٧٩م، دوريّة المستقبل العربي، بيروت – لبنان.

٣٣- مجموعة أبحاث تحت عنوان: (ثقافة الطفل – واقع وآفاق)، تجميع عبد الواحد علواني، ١٩٩٧م، دار الفكر، دمشق – سوريا، وذلك من خلال الأبحاث التالية:

٣٤- إبراهيم محمود، أدب الأطفال وواقع الأطفال في مجتمعنا.

٣٥- باسمة العسلي، أدب الأطفال... دعوة إلى الأصالة والإبداع.

٣٦- أحمد فضل شبلول، توظيف التقنيات الرقميّة في أدب الأطفال، ملخّص بحث مقدم لندوة منهج الأدب الإسلامي في أدب الأطفال، المكتب

الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي، بتاريخ: ٢٦ ـ ٢٨ صفر ١٤٢٦هـ - الموافق: ٥ ـ٧ نيسان/أبريل ٢٠٠٥م، الرياض – السعودية.

٣٧- قضايا الطفل من منظور إسلامي، أعمال الندوة الدولية التي عقدتها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة – إيسسكو بالتعاون مع جمعية الدعوة الإسلامية العالمية والمعهد العالمي للفكر الإسلامي في الرباط في الفترة من ٢٩ أكتوبر إلى ١ نوفمبر ٢٠٠٢م، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة – إيسسكو، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، الرباط – المغرب، وذلك من خلال الأبحاث التالية:

- عبد الرزاق الحاج عبد الرحيم حسن، أدبيّات الطفولة في التراث الإسلامي.
- عبد الرحيم مؤذن، البحث عن بطل جديد.
- اليحمدي – بدر بن هلال، التخطيط لأدب الطفل المسلم.

ثالثاً: الكتب المترجمة.

٣٨- جين كارل، كتب الأطفال ومبدعوها، ت. صفاء روماني، سلسلة دراسات اجتماعية (١٥)، ١٩٩٤م، منشورات وزارة الثقافة، دمشق - سوريا.

٣٩- سبيني سرجيو، التربية اللغوية للطفل، ت.فوزي عيسى وعبد الفتاح حسن، ١٩٩١م، دار الفكر العربي، القاهرة – مصر.

٤٠- سيسيليا ميرايل، مشكلات أدب الطفل، ت.مها عرنوق، ١٩٩٧م، سلسلة دراسات نقدية عالمية (٣٣)، منشورات وزارة الثقافة، دمشق – سوريا.

٤١- وتفريد وارد، مسرح الأطفال، ت.الجوهري – محمد شاهين، ١٩٩٦م، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، القاهرة - مصر.

رابعاً: المواقع الإلكترونية.

٤٢-موقع صيد الفوائد: **http://www.saaid.net**.

٤٣- موقع شبكة الألوكة: **http://www.alukah.net**.

٤٤- موقع رابطة الأدب الإسلامي: **http://www.adabislami.org**.



سلسلة إصدارات روافد

١- الشهود الحضاري للأمة الوسط في عصر العولمة.

د. عبد العزيز برغوث.

٢- عينان مطفأتان وقلب بصير (رواية).

د. عبد الله الطنطاوي.

٣- دور السياق في الترجيح بين الأقاويل التفسيرية.

د. محمد إقبال عروي.

٤- إشكالية المنهج في استثمار السنة النبوية.

د. الطيب برغوث.

٥- ظلال وارفة (مجموعة قصصية) .

د. سعاد الناصر (أم سلمى).

٦- قراءات معرفية في الفكر الأصولي.

د. مصطفى قطب سانو.

٧- من قضايا الإسلام والإعلام بالغرب.

د. عبد الكريم بوفرة.

٨- الخط العربي وحدود المصطلح الفني.

د. إدهام محمد حنش.

٩- الاختيار الفقهي وإشكالية تجديد الفقه الإسلامي.

د. محمود النجيري.

١٠- ملامح تطبيقية في منهج الإسلام الحضاري.

د. محمد كمال حسن.

١١- العمران والبنيان في منظور الإسلام.

د. يحيى وزيري.

١٢- تأمل واعتبار: قراءة في حكايات أندلسية.

د. عبد الرحمن الحجي.

١٣- ومنها تتفجر الأنهار (ديوان شعر).

الشاعرة أمينة المريني.

١٤- الطريق... من هنا.

الشيخ محمد الغزالي

١٥- خطاب الحداثة: قراءة نقدية.

د. حميد سمير

١٦- العودة إلى الصفصاف (مجموعة قصصية لليافعين).

أ. فريد محمد معوض

١٧- ارتسامات في بناء الذات.

د. محمد بن إبراهيم الحمد

١٨- هو وهي: قصة الرجل والمرأة في القرآن الكريم.

د. عودة خليل أبو عودة

١٩- التصرفات المالية للمرأة في الفقه الإسلامي.

د. ثـريـة أقصـري ________________________

٢٠- إشكالية تأصيل الرؤية الإسلامة في النقد والإبداع.

د. عمر أحمد بو قرورة ________________________

٢١- ملامح الرؤية الوسطية في المنهج الفقهي.

د. أبو أمامة نوار بن الشلي ________________________

٢٢- أضواء على الرواية الإسلامية المعاصرة.

د. حلمي محمد القاعود ________________________

٢٣- جسور التواصل الحضاري بين العالم الإسلامي واليابان.

أ. د. سمير عبد الحميد نوح ________________________

٢٤- الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية.

د. أحمد الريسوني ________________________

٢٥- المرتكزات البيانية في فهم النصوص الشرعية.

د. نجم الدين قادر كريم الزنكي ________________________

٢٦- معالم منهجية في تأصيل مفهوم الأدب الإسلامي.

د. حسن الأمراني ________________________

د. محمد إقبال عروي ________________________

٢٧- إمام الحكمة (رواية).

الروائي/ عبد الباقي يوسف ________________________

٢٨- بناء اقتصاديات الأسرة على قيم الاقتصاد الإسلامي.

أ. د. عبد الحميد محمود البعلي

٢٩- إنما أنت... بلسم (ديوان شعر).

الشاعر محمود مفلح

٣٠- نظرية العقد في الشريعة الإسلامية.

د. محمد الحبيب التجكاني

٣١- محمد ﷺ ملهم الشعراء

أ. طلال العامر

٣٢- نحو تربية مالية أسرية راشدة.

د. أشرف محمد دوابه

٣٣- جماليات تصوير الحركة في القرآن الكريم .

د. حكمت صالح

٣٤- الفكر المقاصدي وتطبيقاته في السياسة الشرعية.

د. عبد الرحمن العضراوي

٣٥- السنابل... (ديوان شعر).

أ. محيي الدين عطية

٣٦- نظرات في أصول الفقه.

د. أحمد محمد كنعان

٣٧- القراءات المفسرة ودورها في توجيه معاني الآيات القرآنية.

_______________ د. عبد الهادي دحاني

٣٨- شعر أبي طالب في نصرة النبي ﷺ.

_______________ د. محمد عبد الحميد سالم

٣٩- أثر اللغة في الاستنباطات الشرعية.

_______________ د. حمدي بخيت عمران

٤٠- رؤية نقدية في أزمة الأموال غير الحقيقية.

_______________ أ.د. موسى العرباني

_______________ د.ناصر يوسف

٤١- مرافىء اليقين (ديوان شعر).

_______________ الشاعر يس الفيل

٤٢- مسائل في علوم القرآن.

_______________ د. عبد الغفور مصطفى جعفر

٤٣- التأصيل الشرعي للتعامل مع غير المسلمين.

_______________ د. مصطفى بن حمزة

٤٤- في مدارج الحكة (ديوان شعر).

_______________ الشاعر وحيد الدهشان

٤٥- أحاديث فضائل سور القرآن: دراسة نقدية حديثية.

د. فاطمة خديد

٤٦- في ميــزان الإسـلام.

د. عبد الحليم عويس

٤٧- النظر المصلحي عند الأصوليين.

د. مصطفى قرطاح

٤٨- دراسات في الأدب الإسلامي.

د. جابر قميحة

٤٩- القيمُ الروحيّة في الإسلام.

د. محمّد حلمي عبد الوهّاب

٥٠- تـلاميـذ النبــوة (ديوان شعر).

الشاعر عبد الرحمن العشماوي

٥١- أسماء السور ودورها في صناعة النهضة الجامعة.

د/ فــؤاد البنــا

٥٢- الأسرة بين العدل والفضل.

د. فريد شكري

٥٣- هي القدس... (ديوان شعر).

الشاعرة: نبيلة الخطيب

٥٤- مسار العمارة وآفاق التجديد.

م. فالح بن حسن المطيري

٥٥- رسالة في الوعظ والإرشاد وطرقهما.

الشيخ محمد عبد العظيم الزُّرْقاني

٥٦- مقاصد الأحكام الفقهية.

د. وصفي عاشور أبو زيد

٥٧- الوسطية في منهج الأدب الإسلامي.

د. وليد إبراهيم القصاب

٥٨- المدخل المعرفي واللغوي للقرآن الكريم.

د. خديجة إيكر

٥٩- أحاديث الشعر والشعراء.

د. الحسين زروق

٦٠- من أدب الوصايا.

أ. زهير محمود حموي

٦١- سنن التداول ومآلات الحضارة.

د. محمد هيشور

٦٢- نظام العدالة الإسلامية في نموذج الخلافة الراشدة.

د. خليل عبد المنعم خليل مرعي

٦٣- التـراث العمـراني للمدينة الإسـلامـيـة.

________________ د. خالد عزب

٦٤- فراشات مكة... دعوها تحلق.. (رواية).

________________ الروائية/ زبيدة هرماس

٦٥- مباحث في فقه لغة القرآن الكريم.

________________ د. خالد فهمي

________________ د. أشرف أحمد حافظ

٦٦- محمود محمد شاكر: دراسة في حياته وشعره.

________________ د. أماني حاتم مجدي بسيسو

٦٧- بوح السالكين (ديوان شعر).

________________ الشاعر طلعت المغربي

٦٨- وظيفية مقاصد الشريعة.

________________ د. محمد المنتـار

٦٩- علم الأدب الاسلامي.

________________ د. إسماعيل إبراهيم المشهداني

٧٠- الكِتّاب وصنعة التأليف عند الجاحظ.

________________ د. عباس أرحيلة

٧١- وسائلية الفقه وأصوله لتحقيق مقاصد الشريعة.

________________ د. محمد أحمد القياتي محمد

٧٢- التكامل المعرفي بين العلوم.

د. الحسان شهيد ________________

٧٣- الطفولة المبكرة الخصائص والمشكلات.

د. وفقي حامد أبو علي ________________

٧٤- أنا الإنسان (ديوان شعر).

الشاعر يوسف أبو القاسم الشريف ________________

٧٥- مسار التعريف بالإسلام في اللغات الأجنبية.

د. حسن عزوزي ________________

٧٦- أدب الطفل المسلم.. خصوصية التخطيط والإبداع.

د. أحمد مبارك سالم ________________

نهـر متعـدد.. متجـدد

هـذا الكتـاب

إن هذا التخطيط المرحلي الذي يستهدف تحقيق نقلة نوعية تحوّل أدب الطفل في مجتمعاتنا من أدب يعيش أزمة إلى أدب يعيش تنامياً تصاعدياً يتحقّق من خلال العديد من الخطوات التي يبدأ أولها باستقراء أدب الطفل السائد الذي يعتبر جذاباً بالنسبة للأطفال، ومن ثم العمل على تحليل معطيات الجذب التي جعلت الطفل المسلم مرتبطاً بهذا الضرب من الأدب للتعرف على مضمونه، ووسائل تجويده، وأهداف توظيفه.

وفي ذات الوقت، لا بد من العمل على لملمة الجهود المبعثرة التي تم من خلالها تقديم الأدب للطفل المسلم، والعمل على استقراء قنوات الجذب الموظّفة من خلالها؛ وذلك من أجل مقارنتها مع قنوات الجذب الموظّفة في الأدب السائد...



وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية
إدارة الثقافة الإسلامية
www.islam.gov.kw/thaqafa